مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد التاسع والثلاثون جمادى الآخرة - شعبان ١٤٣٤ هـ . إبريل - يونية ٢٠١٣ م

٣٩

- اهتمام الرسول ﷺ بالجانب العقدي في السيرة النبوية وثمرة ذلك ، نماذج مختارة
- الأحاديث الواردة في موانع شفاعة النبي ﷺ جمعاً ودراسة
- مواقع منازل بني حارثة في ضوء الأحاديث النبوية وأقوال المؤرخين وأثر ذلك في تحديد حرم المدينة
- الحج وأثره على مجتمع المدينة من خلال كتب الرحالة إبان الحكم العثماني للحجاز

الحج وأثره على مجتمع المدينة من خلال كتب الرحالة
إبان الحكم العثماني للحجاز

آمال رمضان عبد الحميد صديق

جامعة أم القرى

مقدمـــــة : الحج شعيرة إسلامية عظيمة افترضها الله سبحانه على المسلمين ، وجعله ركناً من أركان الدين ، به تغفر الذنوب ، وفيه تسكب العبرات ، وتستجاب الدعوات ، ويشهد الناس فيه منافع لهم ، ومن خلاله يُؤثر ركب الحج فيما حوله ويتأثر بمن حوله ، ولقد تأثرت المدينة بركب الحج ، وأثرت فيه . ولما كان الماضي تأصيلاً للحاضر ، أحببت أن أسد حلقة من حلقات البحث العلمي لتاريخ هذه المدينة المباركة ، من خلال بحثي الذي عنونته بـ « أثر الحج على مجتمع المدينة من خلال كتب الرحالة إبان الحكم العثماني للحجاز » .

أهميـــــة الموضـــوع : وتعود أهمية الموضوع إلى عدة أمور :

منها : أن العصر العثماني اختلفت في أواخره الظروف كثيراً عن العصور السابقة له ؛ فقد شهد العالم تحولات وتطورات أثرت على رحلات الحج ومن ثم الزيارة ؛ كدخول السكة الحديد إلى المدينة ، والحرب العالمية الأولى ، وبالتالي صار لرحلة الحج أبعادها الجديدة .

كما أن العصر العثماني هو الامتداد التاريخي الطبيعي للعصر الحديث ؛ ولذا فكثير من العادات الآن هي امتداد لعادات ذلك العهد ،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بل وكثير من العمارة والحضارة والبنيان هي امتداد لذاك العهد أيضاً ، والدراسات المعاصرة تعتمد على ذلك في تكييف الواقع وتحليله .

كما ترجع أهمية الموضوع أيضاً إلى معرفة تأثير الحج على المجتمع المدني ؛ حيث إن الناس تتشابه تطلعاتهم ومطالبهم ، فيمكن توقع ذلك في أزمنة مختلفة نسبياً .

كذلك يعطي البحث آفاقاً واسعة لتخيل الأوضاع العامة في المدينة في العهد العثماني ، الذي ابتدأ من عام ٩٢٣هـ ، فيسد حلقة من حلقات البحث التاريخي المعاصر .

ويشتمل البحث على مقدمة تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته ، وأربعة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول : أثر الحج على التركيبة السكانية للمدينة .

المطلب الثاني : أثر الحج على المجتمع المدني اقتصادياً .

المطلب الثالث : أثر الحج على المجتمع المدني في احتفالاته وعاداته وتقاليده .

المطلب الرابع : أثر الحج على المجتمع المدني ثقافياً .

وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا مني ، وأن ينفع به ، وما توفيقي إلا بالله ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المطلب الأول : أثر الحج على التركيبة السكانية للمدينة :

إن مجتمع المدينة المسلم متعدد الأصول ؛ فهو خليط من سائر الأمم الإسلامية ، فبالإضافة إلى سكانها الأصليين من بقايا الأنصار والقبائل العربية ، وجد عدد كبير من الشاميين والمصريين والعراقيين والترك والجاوة والزنجباريين والسودانيين والمغاربة والسنغال والهنود والطاجكستانيين والجراكسة والأكراد والأفغان ، والروس وغيرهم من شعوب الإسلام[1] ،

(١) محمد كرد علي: رحلة إلى المدينة المنورة، ص ٧٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقد جذبت قداستها الغرباء ، الذين كانوا في البداية يدفعهم الشوق لزيارة المسجد النبوي ، ومن ثم التشرف بالسلام على النبي ﷺ في طريق عودتهم إلى أوطانهم ، لكن سرعان ما كان يطيب لهم البقاء والمجاورة ، فيستقرون في المدينة ، وتتكون منهم الأسر والجاليات المدنية ، وينخرطون في امتهان الحرف المختلفة مؤثرين ومتأثرين بالمجتمع ، حتى توافيهم المنية بالمدينة ، وتستمر ذراريهم في البقاع المقدسة[١] .

وقد لاحظ الرحالة الذين وفدوا على المدينة فترة الدراسة فئات المجتمع المختلفة بالمدينة ؛ فمثلاً يذكر الرحالة بوركهارت أن أكثر سكان المدينة كانوا من الوافدين من أصول أجنبية ، وأنهم في زمن رحلته سنة (١٨١٥م) كانوا خليطاً ، وأنه لا يمر عام إلا ويضاف إليهم وافدون جدد أتوا ليستقروا بها[٢] . ويقرر أن سبب هذا الاستيطان هو الحج ، فلا تعبر قافلة حجيجٍ المدينة إلا وتخلف قلة من مسافريها يتوقفون بنية البقاء عاماً أو عامين فقط في بداية الأمر ، لكنهم عادة ما يقيمون بها إقامة دائمة[٣] .

فعلى سبيل المثال كان الزنوج أو التكارنة وغيرهم من (أفريقيا) يتوجهون إلى مكة قادمين من بلادهم لأداء فريضة الحج ، وبعد انتهاء الموسم تتوجه أعداد محدودة منهم عائدة إلى موطنهم الأصلي ، بينما تظل الأكثرية منهم – لمشقة رحلة العودة – تستقر في كبريات المدن في منطقة الحجاز[٤] والتي منها المدينة المنورة .

وهذا كله يشير إلى أثر الحج على تنوع التركيبة السكانية في المدينة حتى غدا أكثر السكان في العهد العثماني من المجاورين « الحجاج

(١) بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ص ٤٧٤ .
(٢) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص ٣٤٢.
(٣) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص ٣٤٣.
(٤) موريس تاميزيه ، رحلة في بلاد العرب « الحجاز » ، ص ١٤٠-١٤١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والزائرين » الذين طاب لهم الجوار في المدينة المنورة . وقد قدرهم بعض الرحالة بنحو نصف السكان[١] ، والبعض الآخر بنحو النصف إلى ثلاثة أرباع السكان[٢] .

ويمكن أن نلحظ من خلال ما كتبه الرحالة وجود تركيبة سكانية مختلفة يتقدمها خمس فئات :

الأشراف : وهم الذين ينتمون إلى رسول الله ﷺ ، وكانوا في كتب الرحالة بضع عشرة أسرة[٣] .

الحكام : وهم الذين يحكمون المدينة من قبل الدولة العثمانية ، وهم من الأسر التركية ، ويذكر الرحالة بيرتون أنهم أنصاف أتراك ، فآباؤهم ترك وأمهاتهم عربيات ، وأنه قد كثر عدد هذا الجنس المخلط ، وقد خططوا لشغل أرقى المناصب وأكثر الأعمال ربحاً في المدينة[٤] .

الخليفية : وهم الذين يعودون إلى بيت الخلافة العباسية ، ويعتقد أنهم ينحدرون من أصول عباسية[٥] .

البدو : وهم الذين استقروا في الضواحي أو بالقرب من المدينة ، كما أنهم احتفظوا بلباسهم التقليدي ولهجاتهم وعاداتهم[٦] .

---

(١) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٦٤ .

(٢) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٦٥ .

(٣) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤١ ، بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ص ٤٧٢ ؛ البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢٥٩ .

(٤) بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ١٤٣/٢ .

(٥) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٢ ، بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ص ٤٧٢ .

(٦) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٤ ، بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ص ٤٩٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأغوات[١] **: أو الطواشية**[٢] ، وهم من الفئات الاجتماعية التي لأفرادها الاحترام الزائد والتبجيل ، ولهم العقد والحل داخل المدينة المنورة ، وهم من جنسيات مختلفة[٣] ، ويعملون في خدمة الحرم النبوي الشريف ، وعلى درجات ورتب ، فأعلاهم وظيفة شيخ الحرم ، الذي كان له مجلس مكون بطريقة شبيهة بمجلس الباشا ، وإن كان أقل عدداً[٤] .

المجاورون : وهم الأكثرية الغالبية لسكان المدينة في العصر العثماني ، وهم أخلاط شتى من كافة ألوان الطيف الإسلامي ، فقد أشار الرحالة إلى العديد من الجنسيات الإسلامية التي سكنت المدينة ، وأصبحوا بمرور الوقت من أهلها ، فقد وجد عدد من الأسر التركية ، لكن الغالبية العظمى من المستقرين بها ترجع أصولهم إلى اليمن وحضرموت ، وسوريا ومصر وتونس والجزائر والمغرب ، بالإضافة إلى الأكراد والأفغان والداغستانيين وأعداد من التكارنة وقليل من الجاويين[٥] .

---

(١) الأغا : كلمة تركية ، من المصدر : أغمق ، ومعناه الكبر وتقدم السن ، وقيل إنها من الفارسية : أقا، وجرى العرب على إضافة تاء إليها إذا وقعت مضافاً ، وتطلق على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة ، وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء . أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي ، ص ١٧ .

(٢) الطواشي : كلمة تطلق على العبد الخصي ، وجمعها طواشية ، انظر: ابن منظور لسان العرب ١٠٩/٢ ؛ ترتيب القاموس المحيط ١٠٨/٣ . وأول من رتب الأغوات في المسجد النبوي هو السلطان نور الدين وتبعه في ذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي ، الذي أوقف عليهم أوقافاً في بعض قرى مصر . السمهودي: وفاء الوفاء ٤٦٨/١ .

(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ص ٤٢٦ .

(٤) بوركهات ، رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص ٣١٨ .

(٥) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٣ ، بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ص ٤٧٤ ، ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٦٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

➢ سوق المناخة ، حيث اعتاد أهالي المدينة الخروج إليه لاستقبال وتوديع ركب الحجاج ويظهر في الصورة جمال الحجيج التي أناخت فيه

➢ تقارب البيوت في المدينة قرب الحرم لتوفير أكبر مساحة لنزول الحجاج فيها

صورة تظهر لباس أحد العلماء في الحجاز وهو يرتدي الجبة والعمامة التي هي شبيه بلباس العلماء المصريين الذي كان منتشراً فترة الدراسة ، ومازال في تفاصيله الرئيسة شبيهاً بلباسهم في الأزهر الشريف

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد عبر الرحالة ريزفان عن هذا الخليط من سكان المدينة بقوله : « وسكان المدينة الدائمون هم خليط مبرقش من أبناء جميع القوميات التي تدين بالإسلام ، وعدا السكان المحليين العرب الذين يؤلفون زهاء ثلاثة أخماس عدد السكان الإجمالي ، يوجد هنا عدد كبير من الماليزيين والزنوج والأحباش والمصريين والهنود والعرب والأفارقة والأتراك ، وكذلك السرت والفرس والتتر والقرغيز وغيرهم ، ومن بين العرب المحليين ، كما أوضحوا لي ، وينتمي قليلون إلى سكان البلد الأصليين ؛ فهم بمعظمهم قادمون من الخارج واستعربوا كليًّا مع مر الزمن ، ولذلك تتنوع قسمات وجوههم ، وبشرتهم من جميع الألوان بدءًا من الأبيض تمامًا كما عند الأوروبيين حتى الداكن البرونزي كما عند الأحباش »[١] .

ولقد أثر الحج على التعداد السكاني للمدينة في العهد العثماني فترة الدراسة ، فيذكر الرحالة أوليا جلبي الذي زار المدينة عام (١٠٨١هـ/ ١٦٧١م) أن المدينة تتحول إلى بحر من البشر عندما يفد إليها الحجيج ، وأن تعداد سكانها خارج أيام الحج حوالي أربعة عشر ألف نسمة[٢] . ويذكر بوركهارت أن عدد سكان المدينة حين زارها عام (١٢٣١هـ/١٨١٥م) كان ما بين ستة عشر ألفاً إلى عشرين ألفاً[٣] . وهو مقارب لما أشار إليه الرحالة سادلير ؛ حيث ذكر أنه في عام (١٢٣٥هـ/١٨١٩م) بلغ عدد السكان في المدينة ثمانية عشر ألف نسمة[٤] ، ومع نهاية ذاك القرن زاد العدد ، فقد قدر الرحالة جون كين عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) أن المدينة فيها حوالي عشرين ألف نسمة ، ثلثاهم من العرب والباقون من الأتراك ومجموعة من

(١) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٤٥ .
(٢) أوليا جلبي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٤٠ .
(٣) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٦٥.
(٤) سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١١٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المقيمين الغرباء القادمين من مختلف البلاد المحمّدية[١] . وبعد عقدين من الزمان من رحلة كين ، قدر الرحالة الروسي دولتشين الذي زار المدينة عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) عدد سكانها بنحو أربعين ألفاً[٢] ، وبعد سنوات قليلة من إحصاء دولتشين ، حدد إبراهيم رفعت في رحلته الحجازية المسماة « مرآة الحرمين » عدد سكان المدينة عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٨م) بـ(٥٦) ألف نسمة[٣] ، ويقترب من ذلك العدد تقدير البتنوني في زيارته للمدينة عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م) حيث قدرهم بستين ألف نسمة منهم كثير من المجاورين الأجانب[٤] ، مما يشير إلى قوة تأثير الحج على المجتمع المدني في عدد سكانه .

كما كان لافتتاح خط السكة الحديد بين الشام والحجاز عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٨م) أثر في انتقال الأعداد الكبيرة من الحجاج ؛ فكان عدد سكان المدينة قبل افتتاح السكة لا يصل إلى أكثر من ٦٠ ألفاً[٥] ، ثم وصل العدد بعد افتتاح السكة إلى ٨٠ ألف نسمة حيث أسهمت سكة حديد الحجاز في إنعاش الأحوال الاقتصادية بالمدينة ، وتقريب المسافات بينها وبين مصر والشام[٦] .

إلا أن العدد تناقص مع نشوب الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) إذ أدت الحرب إلى توقف نسبي للحج والزيارة أثناء فترة الحرب مما أدى إلى تناقص عدد سكان المدينة إلى أدنى مستوياته[٧] ، ومع توقف خط سكة

(١) جون كين ، ستة أشهر في الحجاز ، ص ١٩٨.
(٢) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٦٢ .
(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٤٣٩/١ .
(٤) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢٥٩ .
(٥) البتنوني ، الرحلة الحجازية، ص ٢٥٩ .
(٦) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى ، دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة ، ص١٧١ .
(٧) محمد بهجة البيطار ، الرحلة النجدية ، ص ٩٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حديد الحجاز نقص عدد السكان إلى ١٢ ألف نسمة ؛ لكثرة الهجرات من المدينة ، وذلك لقلة الموارد التي كانت تتزامن مع موسم الحج[١] .

وهذا كله يشير إلى قوة أثر الحج على المجتمع المدني في عدد السكان سلباً وإيجاباً .

بل لما منع السلفيون البدع المصاحبة للمحمل ، امتنعت قوافل الحج المصري والشامي من المجيء ، فامتنع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر عبر هذه القوافل ، وقد كانوا يعيشون منها ؛فخرجوا من أوطانهم بعائلاتهم إلى مصر والشام وإسطانبول يتشكون[٢] .

وهذا يشير إلى تأثير قوي لموسم الحج على المدينة في العهد العثماني .

وتبعاً للتركيبة السكانية المختلطة ؛ فقد أثر ذلك على أشكال المدنيين ، فأكثر أهل المدينة لونهم السمرة الضاربة إلى السواد ، وفيهم ذو السمرة الخالصة أو البياض الناصع ، وأجسامهم نحيفة وحواشيهم رقيقة[٣] . فعلى سبيل المثال ذكر بوركهارت أن الجالية الهندية بالمدينة تشابهت ملامحها مع العرب من خلال الأجيال ، وأنهم يتمسكون : (بألسنتهم الوطنية وعاداتهم ، ويشكلون تجمعاً سكانياً صغيراً ، ونادراً ما يتزاوجون مع السكان الآخرين أو يختلطون بهم ، وأفراد مختلف الأمم الذين أقاموا هنا يغدون جميعاً - عندما يحل الجيل الثاني والثالث منهم - عرباً في ملامحهم وطباعهم ، ومع ذلك فمن الممكن تمييزهم فهم ليسوا كالمكيين داكني اللون كثيراً . فهم يشكلون جنساً وسطاً بين الحجازيين والسوريين الشماليين ، فقسمات وجوههم أعرض ، ولحاهم أكثر كثافة ،

(١) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى ، دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٧٢ .
(٢) محمد صادق ، الرحلات الحجازية ، ص ٣٩٣ .
(٣) محمد صادق ، الرحلات الحجازية ، ص ٣٨٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأجسامهم أكثر بدانة من المكيين . ومع هذا فإنه ترى الوجه العربي ونفس السمات والملامح في كلا المكانين)[١] .

وكما أضفى الحج بظلاله على التركيبة السكانية في المدينة ، كذلك أدى إلى التنوع في التركيبة المعمارية والعمرانية لمساكن المدينة ، فنتيجة لاختلاف طبقات المجتمع من حيث الغنى والفقر ؛ اختلفت أماكن مساكنهم ، فعِلية القوم والأثرياء منهم ؛ كالحكام والأغوات والتجار وغيرهم سكنوا بالقرب من الحرم الشريف ، كما كانت لهم منازل في الضاحية الجنوبية[٢] ، ينتقلون إليها في المواسم . بينما من هم في مستوى معيشي متدنٍ فقد استقروا في الضواحي وأطراف المدينة ، فعلى سبيل المثال الضاحية الشمالية كان يسكنها الكثير من القبائل ، الذين يمتلكون بها العيون ومزارع النخيل والمحاصيل الأخرى ، كما كان يكثر فيها سكنى التكارنة (الأفارقة) والمنقطعين من أهل البادية[٣] .

كذلك اختلفت مساحات المنازل وتعددت طوابقها تفاوتاً مع قربها أو بعدها من الحرم ، فتتصف أغلب البيوت الواقعة في المنطقة المركزية والمحيطة بالحرم بصغر المساحة وتعدد الأدوار ، كما أنها عادةً ما كانت متراصة البنيان ضيقة الشوارع ، تكاد تخلو من الميادين والمساحات ، حيث اعتاد أصحابها تأجيرها في المواسم

(١) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٣.

(٢) تقع جنوبي وشرقي الكتلة السكنية الرئيسة ، وتشمل القرى الزراعية الجنوبية (قباء ، قربان ، وتشتهر بكثرة المزارع والحدائق ، ووفرة مواردها المائية وعذوبتها ومناخها الأقل حرارة ورطوبة ، وتوجد بها عدة مساجد كانت مزاراً للحجاج ، منها مسجد قباء ، ومسجد الجمعة ، وغيرها . انظر لمزيد من المعلومات : السيد رجب ، المدينة المنورة ، ص ٧٥ .

(٣) علي بن موسى ، رسالة في وصف المدينة ، ص ٢٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

للحجاج والزائرين ، ولرغبة الحجاج أيضاً في اتخاذ مساكن لهم بالقرب من الحرم[١] .

وعادة ما كان أقارب الحجاج أو من هم من بني جلدتهم يسكنونهم في منازلهم ضيوفاً عليهم فترة بقائهم في المدينة ، أو يستأجرون لهم منازل لسكناهم بالقرب من الحرم إن كانوا من ميسوري الحال[٢] ؛ فالرحالة العالم الكتاني حين قدم المدينة للزيارة بعد أدائه فريضة الحج عام ١٣٢٢هـ نزل في بيت الشيخ عمر بن حمدان المحرسي التونسي[٣] ، وأما الولاتي ، فقد طلب من مضيفه الشيخ سعد المخرج منزلاً بالقرب من الحرم ، فلبى الشيخ طلبه واستأجر له منزلاً ملاصقاً للحرم وعلى نفقته[٤] .

المطلب الثاني : أثر الحج على المجتمع المدني اقتصادياً :

كان للحج الأثر البالغ على المستوى المعيشي لأهل المدينة ، فمصادر أهل المدينة محدودة نسبياً ؛ لذا استغل المدنيون موسم الحج والزيارة في تنمية مواردهم ، مما أدى إلى انتعاش اقتصادهم ، وتوفر الكثير من فرص العمل ، فقد وصف إبراهيم رفعت بعض المهن التي امتهنها أهل المدينة فقال : (هم يتعيشون من التجارة والزراعة القليلة والمرتبات التي يتقاضونها من أوقاف أرصدت لهم أو يأخذونها في نظير عمل يقومون به في المسجد النبوي ، وكثير منهم يرتزق من الإرشاد إلى المساجد المأثورة والأماكن والبقع المباركة)[٥] .

---

(١) بوركهارت ، ص ٣٥٣ ، بيرتون ، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ٩٧/٢ ، إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين١/٤٠٧ ؛ محمد بن عبد الرحمن الحصين ، العمارة الإسلامية في المدينة المنورة ، ص ٢٥٧-٢٦٠ .

(٢) محمد صديق خان ، رحلة الصديق إلى البيت العتيق ، ص٣٠ .

(٣) الكتاني ، الرحلة السامية ، ٢٢٦ .

(٤) الولاتي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٩٠ .

(٥) إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين ٤٤٠/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

➢ زي يوضح ملابس حكام المدينة من العرب ، وهو زي عربي خالص

زي يوضح ملابس الرجل المديني وهو يرتدي العمامة الكشميرية فوق رأسه ، وكذلك الشال الكشميري الذي يلفه حول خصره

➢ زي بسيط للمرأة المدنية ، بدون تطريز لعله مما كانت ترتديه في المنزل ، وبين أفراد أسرتها

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما أن المدنيين كانوا « يدعون الحجاج إلى بيوتهم ، ويعقدون معهم صداقات حميمة ، ويؤدون معهم مناسك الزيارة ، وهذا مما لا شك فيه يحقق لهم مكاسب عدة »[١] ولعل من أهم هذه المكاسب الصفقات التي كانوا يعقدونها مع الحجاج لجلب البضائع معهم ، يقول جلبي : « وبينهم تجار معتبرون تجارتهم تجلب إليهم مع الحجاج من كل نوع »[٢] .

ولقد طوع المدنيون العديد من الحرف لتناسب موسم الحج ، فمن أهم هذه المهن : مهنة الأدلاء ، وذلك لسد حاجة الوافدين من كافة أنحاء المعمورة إلى بلاد الحرمين الشريفين فيما يعينهم على قضاء حوائجهم بالمدينة وإلى من يرشدهم إلى المسجد النبوي وزيارة بقية المواقع ، ويتصدى لهذه المهنة نفر ممن يمتون بصلة قرابة إلى الوافدين من ضيوف الرحمن[٣] .

كما أثر موسم الحج على مهنة الزراعة ، فزاد اهتمام المدنيين بزراعة التمور بأنواعها[٤] . مستفيدين من كون مدينتهم واحة وفيرة المياه ، مما أدى إلى تنشيط تجارة التمور ، لا سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحمله إلى بلادهم ؛ إذ كان الحجيج يحرصون على شراء التمور وحملها معهم من المدينة[٥] ، وقد ذكر البتنوني ما يشير إلى تصدر التجارة في التمور

(١) أوليا جلبي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٣٧ .

(٢) محمد صادق ، الرحلات الحجازية ، ص ٣٩٠ .

(٣) نشأت مهنة الأدلاء في المدينة منذ حقبة زمنية طويلة ، ثم تطور الأمر في العصر العثماني عندما تم إسناد خدمة زوار المدينة لطائفة الأدلاء وذلك بإعطائهم تقارير تنيط بهم وحدهم خدمة جنسية أو جنسيات معينة من الحجاج ، وكان لهذه المهنة شيخ ينظم منسوبي المهنة ويراقب أعمالهم . انظر : يوسف أحمد حوالة ، هيئة الأدلاء بالمدينة المنورة ، ص ٤٣-٤٥ .

(٤) بوركهارت ، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، ص ٢٧٣ ، علي بن موسى ، رسالة في وصف المدينة المنورة ، ص ٣٥ ، محمد بيروم الخامس ، صفوة الاعتبار ٢١/٥-٢٢ .

(٥) سهيل صابان ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا ، ص ١٠٦ ، عمر الفاروق السيد رجب ، المدن الحجازية ، ص ١٢-١٤ ، ١٧-١٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قائمة التجارات التي بالمدينة ؛ إذ يقول « تجارة البلح فيها هي أكبر التجارات وأوسعها ؛ لأن ضواحيها فيها كثير من المزارع والبساتين ، ... ولقد اشترينا منها شيئاً من دكاكين أقيمت خارج الباب المصري بالمناخة »[١] .

ومن المهن التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالحج مهنة الصيرفة ؛ حيث إن الحجيج يجتمعون من كل فج عميق ، وبالضرورة تختلف العملات التي يجلبونها معهم كلٌ حسب القطر الذي يأتي منه ، فراجت في المدينة في ذلك الوقت مجموعة من العملات كـ : البورون الماليزي[٢] ، والريال العثماني[٣] ، والريال المجيدي ، والريال الرشادي ، والهللة التركية ، والجنية الإنجليزي ، والمسكوفي - نسبة إلى موسكو - ، والجنيه البنتو الفرنسي ، والريال الفرنسي[٤] ، وغيرها من العملات ، وصارت المدينة مع هذه العملات سوقاً رائجة بسبب تدفق مختلف العملات ، فانتعشت أسواق الصرافة ، ومهنة الصيارفة .

ويشير البتنوني إلى سهولة الصيرفة في المدينة إبان موسم الحج فيقول : « وتجارة المدينة مدارها على وارداتها الخارجية ، وأثمانها أغلى منها في مكة بل وفي مصر ، وإنما ابتياع الحجاج لها على سبيل البركة وسهولة الصرف في هذه الجهات »[٥] .

---

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .

(٢) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ٧٨ .

(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ١/ ٤٤٠-٤٤١ .

(٤) اشتهر الريال النمساوي أو الريال (ماري تريزة) بين العامة في شبه الجزيرة العربية باسم الريال الفرنسي ، ويعد من أهم العملات الأجنبية التي استخدمت على نطاق واسع للغاية في معظم أرجاء الجزيرة ، وذلك بسبب ثبات وزنها وعيارها اللذين لم يتغيرا على مر السنين .
ولمعرفة المزيد عن النقود التي تداولت في المدينة فترة الدراسة انظر كتاب : تطور النقود في المملكة العربية السعودية ، ص ١٩ .

(٥) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما أثر موسم الحج على مهنة الرعي فنشطت تجارتها ، فالحجاج يشترون من الأسواق المواد الغذائية واللحوم ، فظهر الاتجار بالمواشي كالإبل والغنم ، إضافة إلى الخيل ، فكل من الخيول والإبل كان وسيلة المواصلات الغالبة للتنقل بين المدن . ولذا وجدنا من بين السلع الموجودة في السوق المديني : (الإبل والغنم والخيل)[١] .

بل نشط من الحرف تلك المهن التي لا تحتاج إلى مهارة ودقة ولا غنى للناس عنها ، فتأثرت أيضاً بموسم الحج ، فإن كثيراً من الهنود والأفارقة (الزنوج والتكارنة) الذين فضلوا البقاء في المدينة ، كانوا يكيفون أنفسهم على ممارسة مثل هذه المهن والأعمال[٢] ، كحمل البضائع ، وحفر الآبار وذبح المواشي ، وغيرها .

ولكن في الجملة فإن مهنة التجارة كانت أكثر المهن رواجاً وتأثراً بموسم الحج في المدينة ، فنظراً إلى وجود الحجاج في المدينة في موسم الحج ، فإن هذا كان دافعاً للمدنيين أن يتوجهوا إلى التجارة في الموسم ، وتُعطل أو تؤجل الأمور الأخرى ، وقد سجل العياشي مشاهدته ، وهو الذي جلس عدة أشهر بالمدينة ، وخبر حال أهلها عن قرب ، يقول : « وأيام الموسم عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم ، فلا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة إلا ما لا بد ، فإذا انقضت أيام الموسم وذهبت الركبان الواردة من الآفاق ، ولم يبق بالحرمين إلا أهلها رجعوا إلى معتاد حالها في الأمور الدينية في القراءة والتدريس وأنواع العبادات ، والدنيوية من الفلاحة والتسعير في الأسواق وتصحيح المكاييل والموازين »[٣] .

(١) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ١/٤٤٠-٤٤١ ، بوركهارت ، رحلات في شبه جزيرة العرب ، ص ٣٤٥-٣٤٦ .

(٢) موريس تاميزيه ، رحلة في بلاد العرب « الحجاز » ، ص ١٤٠-١٤١ .

(٣) العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٩٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اليمين : لباس المرأة المدنية حين خروجها من المنزل ، وهو عبارة عن عباءة سوداء ، طويلة ، وقد غطت وجهها ببرقع ابيض طويل ، وهو شبيه بلباس أهل مصر فترة الدراسة كما هو مبين في الشكل اليسار

بعض من الأثواب التي كانت ترتديها العروس ليلة الزفاف ، ويظهر فيها كثرة التطريز والشك ، وهو ما اشتهرت به الأزياء والأقمشة الهندية ، كما تميزت ليلة الغمرة بنقش الحنا على أيدي وأرجل العروسة ، بطريقة جميلة هي أقرب لنقش الهنود

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويشير أوليا جلبي إلى أن أهل المدينة عيدهم هو موسم الحج ، وأن المدينة حينئذ لا تنام ، يقول : « والأهالي يعملون بالتجارة ، وأبواب المدينة ومحلاتها مفتوحة ليلاً ونهاراً طوال أشهر رجب وشعبان ورمضان ، ويضيئون المدينة ليلاً بمئات الألوف من القناديل ، ولكن العيد الحقيقي للأهالي هو مجيء الحجاج المسلمين ؛ حيث يأتى معهم المحمل ، والصرة والهدايا والأعطيات ، فيرتدي الأهالي أفخر ما عندهم من ثياب »[١] .

ولأجل هذا الاستنفار في المدينة لاستقبال الحجاج ، كانت الأسواق التجارية تقوم وتستمر ويقوم بالبيع فيها أهل المدينة والحجاج رجالاً ونساءً . فقد قرر رزيفان أنه « أثناء الحج ، لا يتعاطى السكان المحليون وحدهم التجارة بل يتعاطاها كذلك تجار قادمون كثيرون »[٢] .

إلا أنه مما ينبغي أن يسجل ههنا أن المرأة المدنية كانت محتشمة رغم خروجها للبيع والشراء ، وكانت محل إعجاب الرحالة باعتبارها محجبة ومتمتعة بحرية البيع والشراء ، يقول ريزفان : « النساء عند العرب كما عند الشعوب الإسلامية الأخرى يرتدين الحجاب ، ولكنهن يتمتعن بقدر من الحرية أكبر بكثير مثلاً مما عند التتر ، ...وهناك نساء عديدات يتعاطين في الشوارع التجارة بالمفرق »[٣] .

كانت تجارة المدينة تتم في أسواق مخصصة ، فقد امتازت الأسواق التجارية بالقرب من الحرم الشريف وبقرب بعضها من بعض ، إضافة لتخصصها ، كي يسهل على المشتري خاصة الحاج شراء ما يريده من سلع

(١) أوليا جلبي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٣٧ .

(٢) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٥٠ .

(٣) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٤٦ . ونعتقد أن هؤلاء النساء اللاتي خرجن للتجارة تعود أصولهن إلى بعض الجاليات الإسلامية التي سكنت المدينة كالأفارقة والجاوة وغيرهم ، ولا تزال هذه العادة مستمرة إلى وقتنا الحاضر ، وتظهر جلية في موسم الحج والعمرة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

دون عناء البحث عنها ، أو التنقل من شرق المدينة إلى غربها لشرائها ، فقد وجدت سوق للعطارين ، وسوق للملابس ، وسوق للخضرية والتمور ، وسوق للحوم ، وكانت جميعها تقع بقرب بعض[١] ، وقد حدد البتنوني مكان الأسواق ، فقال : « وسوق المدينة يبتدئ من الباب المصري إلى الحرم الشريف في شارع ضيق ، يقطعه على المارة تقابل جملين فيه مع بعضهما ، والحركة فيه تكاد تنحصر في مدة الحج ، والموسم الرجبي ، وهو موسم الزيارة الرسمية في بلاد العرب »[٢] .

وبهذه الأسواق ؛ كانت ثمة بضائع يحرص عليها الحجاج أكثر من غيرها ، تتصدرها الهدايا التذكارية لهم ولأصدقائهم ، التي تدل على سفرهم إلى الأراضي المقدسة ... فيفضل الحجاج شراء البضائع التي يعدونها أدوات للزينة في بلدانهم ، وقديماً كانوا يشترون العمامة الخضراء ، واليوم يفضلون العمائم المصنوعة من الحرير الهندي غير المنسوج المزركش باللون الأصفر ، وعند العودة إلى ديارهم يرتدون هذه العمامة التي يصعب الحصول عليها في بلدانهم ، وبذلك يجد الحجاج أنفسهم يحملون علامة تميزهم من غيرهم[٣] .

وكان الكثير منها غالي الثمن مقارنة بأسعار غيرها من البلدان ، غير أنهم كانوا يشترونها على سبيل البركة ، يقول البتنوني عن بضائع المدينة بأن : « أثمانها أغلى منها في مكة بل وفي مصر ، وإنما ابتياع الحجاج لها على سبيل البركة »[٤] .

---

(١) أيوب صبري ، موسوعة الحرمين الشريفين ٤/٦٦٠-٦٦١ ، لمعرفة المزيد عن أسواق وأماكن تواجدها فترة الدراسة انظر : مها سعيد اليزيدي ، عمران المدينة المنورة وخططها .

(٢) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .

(٣) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .

(٤) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولم يقتصر سوق المدينة على المعروضات من السوق المحلي ، بل كانت السلع تعرض من كل أنحاء العالم ؛ فقد كانت المدينة بمثابة (معرض دولي) ، يباع فيه معروضات وبضائع من شتى أنحاء العالم ، فمن الآثار الملموسة أن الزائر للمدينة لا يجد فقط المنتجات التجارية المدنية ، بل يجد البضائع من كل الدنيا ... فيعرض التجار الذين يفدون من أقاليم الدنيا السبعة ، بضائعهم في المدينة[١] .

ومنتجات المدينة ليست بالكثيرة ، ولكن تجارتها معتمدة على ما يأتي إليها عبر الحجيج ، يقول البتنوني : « وتجارة المدينة مدارها على وارداتها الخارجية ، لا سيما واردات جاوه والهند والشام ، وعلى الخصوص في الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسبح والليف الأبيض والحناء والبسط والسجاجيد والحنابل العجمية والهندية والمغربية والأناضولية »[٢] .

ويذكر العياشي في رحلته أنه في المدينة خلال موسم الحج : « تمتلئ الأسواق بكافة البضائع والسلع ، منها المؤن الغذائية بجميع أنواعها كالخضر والفواكه ؛ مثل العنب والتفاح والتمور ، واللحوم كالإبل والغنم ومنتجاتهما من ألبان وأجبان وسمن ، وغيره كالبيض ، إضافة إلى : العسل والحبوب كالشعير والأرز ، ومن المأكولات الفول والخبز ، واللحوم المطبوخة »[٣] .

ويبين إبراهيم رفعت منشأ التوريد لهذه السلع الموجودة في السوق المديني : فذكر منها : « عسل النحل والحبوب من قمح وشعير وفول وحمص وذرة وترمس وعدس وأرز ، يرد أكثرها من مصر والشام والهند ، والسمن والجبن من الأعراب والبوادي ، ... والحرير والثياب القطنية والصوفية

(١) أوليا جلبي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٣٧ .
(٢) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .
(٣) العياشي ، ماء الموائد ، ص ٢٢٦ ، الدرعي ، الرحلة الناصرية ١٠٧/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتأتي إليها من تركيا ومصر والهند ، ويتجرون في السجاد ، ويأتي من فارس وبغداد والبصرة ، ويأتي من الأخيرتين العباءات التي يختلف ثمن الواحدة من نصف جنيه إلى عشرين ، وتأتي الأبسطة (الأكلمة) من فارس وتركيا وبغداد ، والنحاس يرد من مصر »[١] .

كما نص العياشي على ما يجلبه الركب الشامي بخصوصه ، واستفادة أهل المدينة منه ، حيث يبقى عشرة أيام ، تنصب خلالها الأسواق ، يقول : « وبالجملة فلا ينتفع أهل المدينة بركبٍ انتفاعهم بأهل الشام ، فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة وطعام وأشربة يبيعونها في المدينة عند قدومهم ، ويدخرون ما بقي إلى الإياب ، فيبيعون كل ذلك بالمدينة »[٢] .

المطلب الثالث : أثر الحج على المجتمع المدني في احتفالاته وعاداته وتقاليده :

لعل الأثر الاجتماعي لرحلة الحج هو الأبرز بين الآثار المختلفة والأحوال العامة للمجتمع المدني . فالمدينة تجذب إليها الحجيج والزائرين للبقاء فيها مدة كبيرة ، بحيث يحصل نوع من التمازج الاجتماعي الذي يؤثر في الطرفين ، فربما يبقى الحجاج في المدينة شهوراً حتى تتم لهم مناسك الحج في مكة ، أو التأهب للسفر إلى بلادهم بعد أداء نسكهم ، وربما تمتد الإقامة فتكون دائمة ، وقد بقي العديد من الرحالة شهوراً بالمدينة ؛ فيذكر العياشي أنه مكث بالمدينة سبعة أشهر ونصف الشهر أثر فيها وتأثر بها[٣] .

كما مكث الولاتي بالمدينة أربعة أشهر ، قام خلالها بممارسة مهنة التدريس بمسجدها الشريف[٤] .

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين ٤٤١/١ .

(٢) العياشي ، ص ١٠٣ .

(٣) العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٧٥ .

(٤) الولاتي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٩٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد تقدم كيف كان النسيج البشري للمدينة مختلط الأجناس ، فمنهم الترك والمغاربة والنجديون والمصريون والهنود وغيرهم ، فقد أثر ذلك على عادات وتقاليد أهلها ؛ حيث حدث اختلاط بين عادات وتقاليد تلك الشعوب والسكان المحليين أدى إلى تبلورها ، وأصبحت الفوارق بينها بسيطة تدريجياً وصار الجميع يتميزون بتلك العادات والتقاليد ، ومن هذه العادات والتقاليد الاحتفالات بالأعياد وغيرها من المناسبات السعيدة التي منها ما يلي :

الاحتفال بركب الحجيج ، فلقد اعتاد أهل المدينة – في السابق – استقبال الأركاب في موسم الحج والزيارة بالحب والترحيب ، فيذكر النابلسي في رحلته أن أهل المدينة المنورة اعتادوا على استقبال الأركاب ، فكانوا ينصبون خيامهم على طرف جبل سلع لانتظار وصولهم ، ولا يقتصر هذا الاستقبال على عامة الناس بل يكون من جملتهم شيخ الحرم والأغوات[1] ، وقبل رحيل الركب ، فإن أهالي المدينة لا يغلقون أبواب المسجد النبوي ليلاً وخاصة في الليالي الثلاث التي تسبق رحيل ركب الحج ، ليتمكن الجميع من المكوث فيه أكبر وقت ممكن ، فيذكر العياشي أن الركب المصري والشامي تعوّد ليلة رحيله أن يجتمع أمراؤه وكبراء أهل المدينة والأغوات في صحن المسجد ليلاً ، بعد أن أوقدت شموعه ، وينتظم الناس على هيئة حلق ، ينشدون المدائح النبوية ، ويصلون على النبي ﷺ ، كلٌّ حسب عرف بلاده ، وهم في وضعهم هذا ينثر عليهم اللوز والسكر والأزهار ، ويرشون بماء الورد والزهر وغيره من أنواع الطيب ، كما تنتشر المجامر التي تفوح منها رائحة الند والعود ، وتوزع عليهم أنواع الحلوى والأشربة إلى

(١) النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، ص ٤٣٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أن يمضي جزء من الليل[١] ، وفي اليوم التالي يخرج الأهالي لتوديع ركب الحج بمثل ما استقبل به ، فكان يخرج لوداع الحجاج شيخ الحرم والجند وعلماء المدينة وكثير من الناس كباراً وصغاراً داعين لهم بسلامة الوصول إلى ديارهم[٢] .

ومن احتفالات أهل المدينة المصاحبة لركب الحاج الاحتفال بالمحمل ، وهو القافلة الكبيرة المحملة بالحجاج والأزواد والبضائع والخيرات والصدقات ، يتقدمها جمل عظيم عليه المحمل ، وهو كالهودج مصنوع من الخشب ومزين بأحلى الزينة ، ويقود هذا المحمل أمير أو قائد عسكري . وهذا المحمل ، له تقاليد وأعراف ؛ فإذا وصل إلى المدينة قوبل بالاحتفالات فتطلق المدافع ، ويستقبله محافظ المدينة وشيخ الحرم والأعيان ، وتعزف الموسيقى ، ويزف إلى أن يصل مكانه ، وينظم له حفل مماثل عند وداعه أيضاً[٣] .

ومن الاحتفالات التي كانت بالمدينة في العهد العثماني ، والتي شارك فيها الحجيج والزوار أهاليَ المدينة **الاحتفال بكنس المسجد النبوي والحجرة الشريفة** ، فقد وصف الرحالة ما كان يحدث من احتفالات في ذلك اليوم ، وهو صبيحة يوم (١٧ ذو القعدة ١١٠٥هـ /١٠ يوليو ١٦٩٤م) ؛ إذ كان أعيان وأكابر وغالب أهل المدينة يجتمعون في الحرم النبوي الشريف بعد صلاة الصبح ، ينتظرون الكنيس ، فيخرج الطواشي (الأغوات) خدّام الحجرة الشريفة وخدام الحرم الشريف وينقلون المصاحف من الروضة الشريفة إلى الحجرة المطهرة ، ويرفعون البسط المفروشة ، لتحل محلها الحصر ، ثم يصعد شيخ الحرم مع جماعة الطواشية وقاضى المدينة إلى

(١) العياشي ، ماء الموائد، ص ١٠١-١٠٢ ، الزبادي ، بلوغ المرام ، ص ١٦٩ ، ١٨٣.

(٢) القيسي ، أنس الساري ص ٩٦ ، العياشي ، ماء الموائد ص ٣٩٢ ، أبو مدين ، الرحلة الحجازية ، ص ١٧٢.

(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٤٧٨/١ ، البتنوني ، الرحلة الحجازية، ص ١٩٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سطح الحرم الشريف ، ثم يبدؤون في كنس السطح والقبة والحجرة ، تشاركهم العامة في ذلك ومن له حظ من الزوار والحجاج ، وكانت هذه المكانس مذهبة وجميلة تصنع لهذه المناسبة من كل عام ، ثم يُهدى للناس من قبل شيخ الحرم والأغوات الكعك والأقراص فيلتقطونه فرحين مسرورين . ويعتبر ذلك اليوم عند أهل المدينة كيوم العيد ففيه يقفلون الأسواق ، ويلبسون فيه أحسن ملابسهم ، ويهنئ بعضهم بعضاً ، وكان من عادة أهل المدينة في هذا اليوم وبعد فراغهم من الكنس ، أن يذهبوا إلى الحدائق والمتنزهات ، ويحصل لهم الانشراح والانبساط ومعهم النساء والأطفال ، ويبقون إلى آخر النهار ، حيث يرجعون لصلاة المغرب بالمسجد النبوي الشريف ، ثم يذهبون إلى منازلهم[١] .

كذلك شارك الحجاج والزوار أهل المدينة قيامهم وصيامهم شهر رمضان ، **فقد اعتادوا على الإفطار في المسجد النبوي طيلة الشهر الفضيل** ، وهذه عادة أهل المدينة وعادة الزوار أيضاً ، لكن أتوقع أن الزوار أحرص عليها ، أو هم من ابتدؤوها ؛ لأن الزائر يرتبط بالمسجد النبوي كثيراً ولا سيما في رمضان ، ثم صارت هذه عادة أهل المدينة والنازل إليهم ، ففي هذه الأيام المباركة يصبح الحرم النبوي كخلية النحل من كثرة الدروس وتلاوة القرآن ، وعندما يقترب موعد الإفطار يجتمعون في المسجد النبوي بعد أذان المغرب ، ويتناولون فطوراً خفيفاً ، يتكون من التمور وبعض من الزيتون والفطير ، ثم يصلون المغرب ، ويذهبون إلى بيوتهم ليتناولوا الفطور الكامل ، وبعد ذلك يحضرون إلى المسجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح[٢] .

---

(١) النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، ص ٤٣٠-٤٣١ ، العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٩٧. وانظر كذلك : محمد بيومي ، المغاربة في المدينة المنورة ص ١٤٤-١٤٥ ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ص ٩٣

(٢) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ١/٤٤٤ ، محمد بيومي ، المغاربة في المدينة المنورة ، ص ١٤٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

صورة توضح خروج المرأة المدنية إلى الأسواق وهي في غاية الاحتشام

المنتو والفرموزا من الأطعمة البخارية التي انتقلت إلى المجتمع المدني عبر الحجاج البخاريين أثناء قدومهم إلى المدينة للزيارة ، وبعض الحلوى التي انتشرت في المدينة زمن الدراسة وما زالت ، وهي عبارة عن السمسمية واللبنية والدو ، وهي في أصولها تعود إلى الهنود الذين قدموا إلى الحجاز زمن الحج واستقروا بها

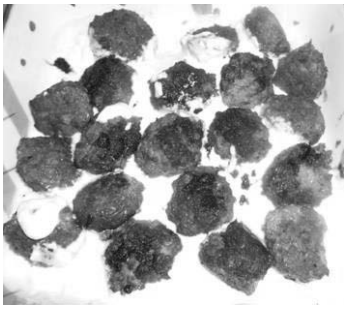

أكلة المبشور وهي عبارة عن لحم مفروم مع بهارات يشوى ويقدم مع الأرز واللبن الراب . وهي من الأكلات الهندية التي انتقلت إلى المدينة من الحجاج الهنود

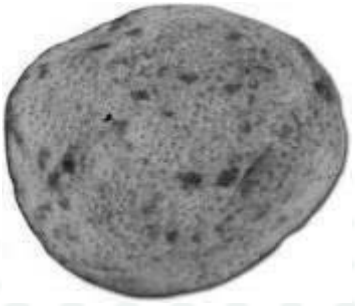

- خبز التميس والذي انتقل إلى المدينة عن الأفغان

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبعد انتهاء شهر رمضان يحتفل المسلمون في المدينة بعيد الفطر ؛ فيكتظ المسجد النبوي الشريف بالناس لأداء صلاة العيد ثم الزيارة ، بعد ذلك يتزاور الأهل والأقارب للتهنئة بالعيد ، ويقدم أصحاب البيوت للزائرين شتى أنواع الحلويات والشرابات والسكر والكثير من المأكولات والمشروبات[١] ، ومما لا شك فيه أن الحجاج والزوار قد شاركوا أهل المدينة فرحتهم بعيد الفطر[٢] .

كما شارك الحجاج والزوار أهالي المدينة ، بالاحتفال باليوم الذي يظنونه مولد الرسول ﷺ[٣] في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول[٤] ، فقبل أن يقام الاحتفال بأيام ينظف الحرم النبوي ، وتُعلق المصابيح والقناديل ، وتُوضع فيها الشموع ، ثم توضع في صحن المسجد ، وتبسط البسط الجميلة حولها ، وعادة ما يشارك الزوار والحجاج أهل المدينة في تنظيف الحرم الشريف ؛ فعلى سبيل المثال شارك العياشي المدنيين هذه المناسبة ، فقد تسنى له فرش البسط في محلّها ، وذكر أن من ضمن من شارك في تنظيف المسجد أمير الحاج المصري إبراهيم باشا ، فقد ساعد في إخراج صناديق الكتب من الحجرة الشريفة لِتُصفَّ في قبلة المسجد ؛

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢٦٨ ، النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، ص ٤٣٠ .

(٢) محمد بيومي ، المغاربة في المدينة المنورة ، ص ١٤٢ .

(٣) الاحتفال بمولد الرسول ﷺ بدعة محدثة فى الدين لم يفعلها الرسول الكريم ولا خلفاؤه من بعده ، ولسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز – رحمة الله – فتوى مفصلة في حكم الاحتفال بالمولد ، انظرها في: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . جمع وترتيب . أحمد بن عبد الرازق الدويش ٢/٣-٣١ .

(٤) كان البويهيون الشيعة الذين سيطروا على بغداد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أول من أبرز هذا الاحتفال ، ثم قواه وثبته في الأذهان العبيديون فى مصر حتى صار تقليداً متبعاً في بعض مناطق العالم الإسلامي . انظر : البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٥٢ ، إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢٠٦/١

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ليستعير منها الناس ، ويقرأ العلماء والأئمة ما شاؤوا منها ، ولا تُعاد إلا في اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة ؛ للاستعداد لموسم الحج ، وفي ليلة المولد وبعد صلاة المغرب توقد المشاعل ، ويجتمع الناس في المسجد النبوي ، ويحضر الأئمة الأربعة لقراءة سيرة الرسول ﷺ وبعد صلاة العشاء يجلس كل واحد من الحضور في مكانه المعد له حسب رتبته ، وتُضرب خيمة كبيرة بالقرب من باب النساء تُوضع فيها أنواع الأطعمة والأشربة والحلوى ، وينشد المنشدون قصائد في مدح الرسول الكريم ، ثم تُوزع الأطعمة والأشربة والحلوى على الحاضرين[١] .

كما شارك الحجاج أهالي المدينة بالاحتفال بليلة الإسراء والمعراج أو ما عرف بـ(الرجبية)[٢] ، ويكون هذا الاحتفال عادة في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب من كل عام ، وهو يشبه الاحتفال بيوم المولد النبوي ، فيتم في هذه الليلة قراءة قصة المعراج[٣] في المسجد النبوي . وتوزع الخزينة السلطانية شراب السكر في قوارير على الشخصيات المهمة ، وينصب لبقية الحاضرين خيمة فيها جملة قرب مملوءة بشراب السكر ، يملؤون منه كُؤوسهم[٤] ، وقد ذكر العياشي أن الناس منذ أول يوم في

(١) العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٩٤-١٩٩ .

(٢) الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج بدعة ليست من الإسلام في شيء، ولم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها ، ولو كان الاحتفال بها شيئاً مشروعاً لسنه الرسول ﷺ للأمة بالقول أو الفعل ، ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة إلينا ، ولو كان تعظيم هذه الليلة من دين الإسلام لفعله النبي الكريم ﷺ الذي أكمل الله به لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة . انظر فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله - في الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج ، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، ص ٤٥-٤٦ .

(٣) وهو من الاحتفالات التي تشابهت عند المصريين والحجازيين على حد سواء . انظر : حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٤٣٣ .

(٤) حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ، ص٤٣٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رجب كانوا يقدمون من أقطار الحجاز ومن اليمن ونجد لشهود الاحتفال بالرجبية مع أهل المدينة ، وكان هو قد حضر يوم الرجبية ، فذكر أن أهل المدينة والزوار ، كانوا يجتمعون إلى سفح جبل أحد ، بمنطقة الشهداء ، حتى يصبح المكان أشبه بيوم عرفة . ويحدث في هذا اليوم الفسحة والسرور والتوسع في المآكل والمشارب ، وتطلق فيه الطلقات النارية[١] .

كما تأثر المجتمع المدني بما وفد مع الحجيج من الاهتمام بحفظ الطالب القرآن الكريم ، والاحتفال به ؛ فإنه إذا أتم حفظه أقيم له احتفال كبير يحضره الأهل والأقارب والأصدقاء ، بالإضافة إلى معلم الكُتاب ، الذي يزيِّن قبل قدومه الحفل لوحاً من الخشب الهندي المزخرف ، ويكتب عليه بعض الآيات القرآنية ، ثم يخرج مع تلاميذه في صف واحد ممتد يتقدمهم الطفل الحافظ في موكب كبير يقطع شوارع المدينة المنورة ، حتى يصل إلى دار الطفل المحتفل به ، فيقرأ هذا الطفل بعض آيات الذكر الحكيم المكتوب في اللوح المزخرف ، ليستمع الحاضرون إلى قراءته[٢] . وهذه المظاهر كانت منتشرة في مصر ، والشام والمغرب وغيرها ، فلعل أهل المدينة اقتبسوها من الحجاج .

وأما حفلات الزواج ؛ فقد لوحظ التشابه بين حفلات الزواج بالمدينة وغيرها في أنحاء العالم الإسلامي مما يدل على التأثر الواضح فيها[٣] .

والزواج عامل وصل بين الأسر بعضها البعض فجميع الأسر بالمدينة المنورة عبارة عن أسرة واحدة مترابطة ، وعادات الزواج في المدينة المنورة

(١) العياشي ، ماء الموائد ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢٠٥/١ ، سعد بدير الحلواني ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر ، ص٢٠٤ ، حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ص٤٢٥ .

(٣) حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٤٣٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لا تختلف عن غيرها في ديار الإسلام ؛ حيث تقوم إحدى قريبات العريس بزيارة أهل العروس والتعرف عليها وتبدى ملاحظاتها على أخلاقها وصفاتها الجمالية ، فإذا كانت الصفات التي يريدها الشاب موجودة في الشابة أعلنت القريبة الرغبة فى المصاهرة مع هذه الأسرة ، ويتم تسليم مهر العروسة في صندوق من فضة ، ويقدم مع المهر الملابس الحريرية للزوجة مشغولة بالفضة والتُل[١] . وعادة ما يكون عقد النكاح في المسجد النبوي ، وذلك بحضور أهل العروسين ، فيجلسون صفين بإزاء الخطيب الذي يشرع في الخطبة فيثنى على الله بما هو أهله وعلى رسول الله ﷺ ثم يذكر المتعاقدين ويشير إليهما ويرضيان بذلك ، ثم يؤتى بأطباق الرياحين وتوضع بين الصفين ، وأطباق من اللوز والسكر تفرق على الحاضرين ، ويقوم المنشد ينشد قصيدة أو قصيدتين في مدح النبي ﷺ ، فيفترق المجلس ويقوم الحاضرون إلى المتعاقدين ويهنئونهما[٢] . وقد شارك الرحالة العياشي أثناء مقامه بالمدينة أفراح المدنيين فقد شهد مع شيخه الثعالبي عقد قران ابن رجل هندي قدم من مكة المكرمة على ابنة رجل آخر من كبار تجّار الهند[٣] .

وبعد عقد القران يتم تأسيس بيت الزوجية ، فقبل أسبوع تقريباً من ليلة العرس ، يتم نقل جهاز العروس إلى بيت العريس في موكب كبير في غاية من التنظيم والبهجة[٤] ، وفي ليلة العرس أو كما يطلق عليها (الدخلة) يتم دعوة الأهل والأصدقاء رجالاً ونساءً ، ويجلس الرجال خارج البيت في المكان المعد لهم ، ويمد لهم في العشاء سماط طويل يجلسون عليه جميعاً مرة واحدة فيأكلون وينصرفون ، أما النساء فيدخلن البيت فيجدن في باب القاعة

(١) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٤٤٣/١.

(٢) الورثيلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ص ٥٠٩-٥١٠.

(٣) عواطف نواب ، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز ، ص٤٤٢ .

(٤) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٤٤٥/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التي يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء ، فتصبغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل إلى قاعة الجلوس وبعد السلام تجلس مع الجالسات يتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل وإذ ذاك يزففن العروس إلى بعلها ثم يعدن إلى بيوتهن بعد أن يطوقن عنقها بعقود من زهر الفل . وإذا رزقت الأسرة بمولود ، فتتم تسميته ، وتذبح له شاة وتسمى العقيقة ، وإذا ما أتم الطفل أربعين يوماً ذهبت به أمه وقريباته إلى المسجد النبوي[١] .

وأما الأطعمة والأشربة في المجتمع المدني فقد تأثرت كثيراً بموسم الحج ؛ فقد تنوعت المأكولات في المدينة المنورة بتنوع الأجناس والجاليات الإسلامية التي تقطنها ، فهناك المأكولات التركية والمغربية والإفريقية والهندية والمصرية والشامية والبخارية والأفغانية والجاوية ، وغيرها .

وبسبب الوافدين على المدينة من الحجيج ، فكثير من الناس لا يستلذ إلا بما يعرفه من الأطعمة ، فصارت الأكلات المختلفة تُقدم بالمدينة في كل العهود تقريباً ، ومما ساعد على انتشار الأطعمة المختلفة أن مواد الطعام وآلاته كانت بسيطة ومتوفرة بالمدينة ، فيأتي الحجاج عند زيارتهم المدينة ، ويطبخون ما اعتادوه ، ومن ثم ينتشر ، ومع مرور الوقت صار للمدينة مأكولات مميزة ، كالخبز المعروف لدى أهل المدينة المنورة بـ (التميز) فقد عرفه أهل المدينة من خلال الحجيج الأفغان الذين قدموا المدينة واستقروا فيها ؛ حيث إنهم كانوا يجيدون صناعته وخبزه[٢] . كذلك المبشور ، وهو من الأطعمة الحجازية التي دخلت إلى الحجاز مع المهاجرين أو الحجاج من بلاد السند والهند[٣] . وأيضاً الأرز بالكاري .

---

(١) أيوب صبري ، مرآة جزيرة العرب ، ص ٢٩٣ ، إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢٠٥/١ ، ٤٤٥ ، البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٥٠ .

(٢) هيا البابطين ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية ، ص ١٥٩ .

(٣) عدنان عبد البديع اليافي ، جدة في شذرات الغزاوي ، ص ١٨٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد نبه عليه الرحالة جون كين أثناء رحلته للحج ، وأنه كان من ضمن الوجبات الرئيسة التي اعتاد على تناولها ، حيث يقول : « كان طعامي عبارة عن الغذاء المحلي في الهند : وجبتان من الأرز والكاري يومياً صباحاً ومساء ، وتدعمها بعض الحلويات أو الفاكهة أو الشاي »[١] .

ومن أطعمة المدينة التي انتقلت إليها عبر الحجاج البف ويصنع من العجين الخفيف المحشو باللحم وقطع البيض والتوابل ، بالإضافة إلى العريكة وهى طعام من الدقيق الأسمر والسمن والسكر[٢] .

إلا أن بعض الرحالة نبه على اهتمام المدنيين بالتمور بشكل أساسي ، فيصف بوركهارت هذا بقوله : « ويشكل التمر مادة غذائية لغالبية الطبقات الفقيرة في المدينة ، ويترقب الناس موسم جني التمر بشوق شديد ، ويستقبلونه بابتهاج لا يقل عن ابتهاج أهل جنوب أوروبا بمحصول العنب ، وإذا فشل المحصول – وغالباً ما يحدث هذا – فنادراً ما يكون إنتاج النخيل وفيراً خلال ثلاث أو أربع سنوات متتاليات ، أو إذا ما التهمه الجراد ؛ انتشر الهم والغم بين الناس وعمهم الحزن ، كما لو أن مجاعة قد اجتاحتهم »[٣] .

وأما أشكال الأطعمة المقدمة من التمر فيقول عنها : « ويقدم العرب التمر بطرائق مختلفة . فقد يغلونه في الحليب ، أو يسخنونه مع الزبد ، أو يحيلونه إلى عجين سميك (غليظ القوام) بغليه في الماء ويصبونه فوق عسل النحل ، ويقول العرب : إن ربة البيت الناجحة تنعش زوجها يومياً لمدة شهر بأطباق التمر التي أعدت بطرائق مختلفة »[٤] . ويذكر أن الطبقات الفقيرة لا تأكل شيئاً آخر سواه ، وأن التمر هو غذاؤهم الرئيسي[٥] .

(١) جون كين ، ستة أشهر في الحجاز ، ص ٢٤ .

(٢) هيا البابطين ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية ، ص ١٥٧ .

(٣) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٣١.

(٤) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص٣٣١.

(٥) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبالتأثير المقابل فمن العادات في الطعام والشراب (نقيع التمر) الذي أخذه المغاربة عن أهل المدينة على أنه سنة عن النبي ﷺ حيث ينقع في الماء من وقت العشاء ليتناوله قاطنو المدينة في السحور[١] .

وعليه فقد حرص الحجاج والزوار على شراء التمور والعودة بها إلى بلادهم ، فراجت تجارة التمر جداً ، مما أثر في المقابل على المدنيين بزيادة زراعته والاهتمام بنخله كما تقدم ، وأن « تجارة البلح فيها هي أكبر التجارات وأوسعها »[٢] .

ومن الأدلة على مدى تأثير الحاج المغربي في مجتمع المدينة ؛ تداول الأكلات المغربية وأشهرها الكسكسى ، واستخدام الشاي الأخضر المضاف إليه النعناع ، وهو شراب منتشر في مناطق المغرب العربي[٣] .

ومن مظاهر تأثر المجتمع المدني بالحاج المصري : أن الأرز والسمك كانت من الأطعمة المفضلة لدى المصريين والحجازيين على حد سواء ، كذلك اللحم والسمن والعسل والخبز الذي يعمل ببسط العجين على حديدة دائرية محماة من تحتها ويترك حتى ينضج ، كما اشتهرت حلوى (المُشَبك) بين البلدين فكانت تباع في الأحياء الشعبية في مصر كما تُباع في أحياء المدينة المنورة[٤] .

كما عرف المدنيون البقسماط من خلال الحجاج الشوام والمصريين ، فقد كانت قافلة الحج المصري والشامي تجلب كميات كبيرة منه للحجاج كطعام لهم أثناء الحج[٥] .

---

(١) عبد الغني النابلسي ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز ، ص ٣٧٠ .
(٢) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .
(٣) نورة الحامد ، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز ، ص ٢٩٩ .
(٤) حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٤٤٥ .
(٥) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٣٠٣/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وثمة أكلات أخرى وردت إلى المجتمع المدني عبر الحجيج الوافد على المدينة ، ومنها : حلوى (الأقر) وهي نوع من الحلوى الأندونيسية المشهورة ببلادهم ، فقد كانت فترة بقاء الأندونيسيين بالبقاع المقدسة لأداء الحج قد تتجاوز الستة أشهر ، يبيعون خلالها هذه الحلوى فينادى عليها بالمدينة (أقر منيس) يعني أقر حلو ، وهي عبارة عن مادة النشا تطبخ بطريقة معينة ويضاف إليها بعض الألوان لتضفي عليها رونقاً جميلاً وطعماً لذيذاً ، ويصف في صوان كبيرة ويباع منه بالقطعة ثم توضع في صحن صغير عميق ويضاف إليه شراب بلون الورد محلى ، ويؤكل بالملعقة[١] .

ومن الأكلات البخارية (المنتو والفرموزا والسمبوسة) وهي أكلات بخارية جاءت إلى الحجاز من قبل الحجاج والمجاورين في العهد العثماني[٢] .

وأما الملابس في المجتمع المدني فقد تأثرت كثيراً بموسم الحج ، إلا أنهم تميزوا بالرفاهية في الملابس ، لمح ذلك الرحالة الوافدون على المدينة ودونوه ، فقد لمح ذلك بوركهارت فقال : « إنهم ينفقون ببذخ على ملابسهم »[٣] .

وكذا أشار العياشى إلى المغالاة في اقتناء الملابس الفاخرة ولبسها ، ولبس زى الأعاجم ، وذلك لكثرة سكن الأعاجم واختلاطهم بهم .

وقد تعجب العياشى من ذلك وقال : « إن أهلها بالعموم تحضّروا ، وغلب عليهم طابع الأعاجم في رفاهيتهم وإسرافهم ، وتشبهوا بهم في ملبسهم وغالب أحوالهم »[٤] .

ولكن لم يكن سبب هذه الرفاهية طابع الأعاجم كما أشار إليه العياشي ، بل الظاهر أنه كان ابتهاجاً بقدوم المحمل ، فتأنقهم كان

(١) ياسين أحمد ياسين الخياري ، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة ، ص ٣٤٠ .

(٢) ***http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=11704*** .

(٣) بوركهارت ، ص ٣٥٣ .

(٤) العياشي ، المدينة المنورة في رحلة العياشي ، ص ٢٢٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقارنًا لذلك ، ولذا يقول أوليا جلبي : « ولكن العيد الحقيقي للأهالي هو مجيء الحجاج المسلمين ، حيث يأتي معهم المحمل ، والصرة والهدايا والأعطيات ، فيرتدي الأهالي أفخر ما عندهم من ثياب »[١] .

لكن الذي تميز في المجتمع المدني من ملابس وقت العثمانيين أن كل جنس من التركيبة السكانية احتفظ نوعاً ما بهوية ملابسه ، فالناس لا يلتزمون بارتداء لباس وطني خاصة في وقت الشتاء حيث يتدثر أفراد الطبقات الدنيا بأي أنواع من الملابس يمكنهم الحصول عليها بثمن زهيد ، وليس غريباً أن ترى رجلاً وقد ارتدى ملابس تعود إلى ثلاثة بلدان أو أربعة فيلبس كالعرب حتى خصره ، ويلبس كالعسكر الترك فوق صدره وكتفيه كما يلبس زي الأغنياء[٢] .

ولذا فجون كين لما نزل المدينة لم يجد غضاضة في هذه الألبسة المتنوعة ، قال : « إن الذي اتبعته كان مزيجاً بين الهندي والتركي ، وفيه لمحة عربية أيضاً ، وضعت على رأسي طربوشاً تركياً ، وانتعلت في قدماي صندلاً هندياً ، وهو قطعة جلدية تحمي كامل القدم وتثبت بواسطة جلدة توضع من الجهة الأمامية تفصل بين الأصبع الكبير وباقي أصابع القدم ، كما ارتديت بجامة هندية ، طولها أربعة أقدام حول الخصر ، ومشدودة على الكاحل ، بالإضافة على سترة قصيرة من القماش نفسه ، لها حزام عبارة عن منديل قطني له طيات متعددة »[٣] .

وذكر الصفصافي أن رجال أهل المدينة كانوا يضعون على رؤوسهم طاقية شامية ، وفوقها الشال الكشميرى أو العمامة البيضاء[٤] .

(١) أوليا جلبي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٣٧ .
(٢) عبد الغني النابلسي ، الحقيقة والمجاز في الرحلة على مصر والشام والحجاز ، ص ٣٧٠ .
(٣) جون كين ، ستة أشهر في الحجاز ، ص ١٧ .
(٤) الصفصافى المرسى ، الرحلة الحجازية ، ص ١٤٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن أزياء المغرب العربي التي ازدهرت في المدينة وذكرتها كتابات الرحالة الطرابيش والعباءات ، فيصف بوركهارت ذلك قائلاً : « وأهل المدينة أكثر شبهاً في ألبستهم بالترك من جيرانهم الجنوبيين مكة ، فقليلون جداً منهم يرتدون البدن أو العباءة العربية التي ليس لها أكمام ، وإن كان حتى من أفقر الناس منهم من يرتدي معطفاً طويلاً مع جبة أو عباءة أخرى فوقية ... ويكثر استخدام الطرابيش التونسية الحمراء ، ويرتدى أفراد الطبقات الدنيا طواقي بيض وصنادل »[١] .

أما ملابس النساء ؛ فكان للعامل الديني أثره في لباس المرأة المدنية ، فجاء لباسها وفق الضوابط الشرعية ، برداء طويل لكنه أيضاً تأثر بالملابس التي كان يلبسها الحجاج والزوار ، ... فإنها إذا أرادت الخروج من المنزل فتلبس مايسمى الغولة والجامة[٢] الهندية والملاية السورية والتركية بحيث لا يظهر منها شيء[٣] .

لكن في الجملة كان تأثر المجتمع المدني في الملابس أكثر بالحاج المصري ؛ إذ إن أمراء الحج المصري طوال العصر العثماني كان عليهم حمل مقادير كبيرة من الملابس في كل سنة هدايا لأعراب درب الحج المصري ، ولأشراف مكة والمدينة ، وكبار علماء الحجاز وأعيانه . وقد ترك ذلك أثره في تشابه شكل الملابس في البلدين[٤] .

---

(١) بوركهارت ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ص٣٤٣ ، محمد بيومي ، المغاربة في المدينة المنورة ، ص ١٤٦ .

(٢) الجامة : رداء واسع مثل الكيس إلا أن له طاقية ، وفتح تجاه العيون بفتحة فيها تخريمة من الحرير مشبكة ، ترى منها المرآة طريقها ، عبد الله الخزرجي ، المدينة المنورة عاداتها وتقاليدها ، ص ١٧ .

(٣) ريزفان ، الحج قبل مئة سنة ، ص ٩٥ .

(٤) حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٤٣٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد لحظ الرحالة الأسباني (باديا) تشابهاً بين ملابس النساء في الحجاز ومصر وبالأخص الإسكندرية ، قال : « تغطي النساء وجوههن بقماش فيه فتحتان للعين ، كما هو الحال في مصر ، ... وكل النساء يرتدين نوعاً من الأردية الضافية ، المخططة بالأزرق والأبيض على طوله وعرضه كما هو موجود في الإسكندرية ، وهي مصممة تصميماً حسناً ، ... وأياديهن ووجوههن تحمل خضاباً بالسواد أو باللون الأزرق والأصفر ... »[١] .

كما ظهرت أيضاً الملابس الهندية في المجتمع المدني ، فكانت ميسورات الحال يرتدين قماشاً هندياً مخططاً ، ... وفوق القميص ترتدي الموسرات القفطان الهندي[٢] .

وأما العمائم فكانت تباع في المدينة فتظهر في بلدان العالم الإسلامي ، فذكر البتنوني أنهم كانوا يشترون العمامة الخضراء ، والعمائم الهندية الصفراء ، وهي العمائم التي يصعب الحصول عليها في بلدانهم[٣] .

ثم نجد كورتلمون يذكر أنه رآها على الحجاج في شمال إفريقية ، قال : « يرتدي الحجاج في الجزائر وخصوصاً في إقليم وهران العمامة الهندية غير المنسوجة المزركشة باللون الأصفر ، وأما في سورية فيرتدي الحجاج العمامة الخضراء أحياناً ، ... وفي تونس وخاصة في جربة نجد جميع الرجال يرتدون العمامة الخضراء ... »[٤] .

المطلب الرابع : أثر الحج على المجتمع المدني ثقافياً :

الأثر الثقافي للحج على المجتمع المدني كان واضحاً جلياً من جهات كثيرة ، فالعلم رحم بين أهله ، والعلماء لا ينزلون بلداً إلا ويحرصون على البحث عن العلوم للاستزادة ، ومنهم من يقوم ببثها في البلد الذي ينزل به .

(١) باديا ، رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٢٤٤ .
(٢) باديا ، رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٢٤٥ .
(٣) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣٤٠ .
(٤) كورتلمون ، رحلتي إلى مكة ، ص ١٠٢-١٠٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد حملت قوافل الحجيج كل عام علماء مارسوا التدريس والفتوى أثناء سير الركب ، وقبل وصوله إلى المدينة ، وامتد نشاط بعضهم بأن قام ببث العلوم أثناء وجوده بالمدينة[١] . فالكثير من الحجاج العلماء فترة وجودهم بالمدينة كان يسمح لهم بتدريس العلوم الشرعية بالمسجد النبوي ، والسيرة النبوية ، واللغة العربية .

فعلى سبيل المثال قام العالم عبد الله النابلسي بتدريس (سنن القزويني) بالمسجد النبوي حين قام برحلته للحج ، كما كانت ترد عليه المسائل الفقهية والفتاوى من قبل الحجاج فيقوم بالرد عليها[٢] .

كما قام بالتدريس بالمسجد النبوي الولاتي ، وقد دون ذلك في رحلته فقال : « ودرَّسنا في مدة إقامتنا بالحرم الشريف (موطأ مالك) ﷺ ، ندرِّس نصاباً من (الموطأ) ونصاباً من (عقود الجمان) ، ونصاباً من (الورقات) في كل يوم ضحى ، وندرس نصاباً من (عقود الجمان) بين المغرب والعشاء كل ليلة حتى أتممنا علم المعاني والبيان للطلبة »[٣] .

وربما كان طلبة العلم المدنيون ممن ينتظر قدوم عالم ليستزيدوا من العلم الشرعي ؛ يقول العياشي : « ولما كان أول شهر من صفر ألجأني أصحابنا المالكية بالمدينة المنورة أن أقرأ لهم (مختصر خليل) في فقه مالك ، ... فابتدأنا قراءته في مؤخر المسجد بالجانب الغربي منه »[٤] . وقال : « ومما أقرأته بالمدينة أيضاً (مقدّمات) الشيخ السنوسي ، و(نقاية) السيوطي كلفني بعض أصحابنا من أهل السودان بقراءتها »[٥] .

---

(١) العياشي ، ماء الموائد، ص ٣٥٥ ، الدرعي ، الرحلة الناصرية ٥٣/٢ ، ٨٦ .

(٢) النابلسي ، الرحلة الحجازية ، ص٧١ ، ١٥٠ .

(٣) الولاتي ، الرحلة الحجازية ، ص ١٩٦ .

(٤) العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٨١ .

(٥) العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٨٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتسهيلاً للحجاج الأعاجم كانت تقام دروس في المسجد النبوي بلغاتهم كالأوردية والجاوية والفارسية والتركية وغيرها ؛ فقد ذكر العياشي أن الشيخ الملا نافع العجمي كان من مجاوري المدينة ، وكان يلقي دروساً بالمسجد النبوي باللغتين التركية والفارسية[١] ، وهذا في ذات الأمر تأثر قوي بموسم الحج ، وحرص على إفادة الحجاج والمجاورين .

ولأجل الحركة العلمية في المدينة التي يزيدها موسم الحج نشاطًا كانت المكتبات العامة والخاصة تفتح أبوابها للعلماء وطلبة العلم من الوافدين[٢] ، فكانت مكتبة (عارف حكمت) محط أنظار العلماء عند نزولهم المدينة ، ولا سيما أنها كانت قريبة من الحرم النبوي الشريف ، وكذا المكتبة المحمودية ، وكلاهما كان يزورها الرحالة العلماء .

والشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي حين قدم المدينة للزيارة عام ١٣٢٨هـ ، حرص على التنقل بين مكتبات المدينة ونسخ نفائس الكتب الموجودة بها ، كما قام بالاطلاع على فهارس مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ، وانتخب نفائس الكتب لمطالعتها ونسخها ، منها رسالة في علم القلم والحبر والكتابة والورق ، لابن البواب ، كما زار المكتبة المحمودية ، وطالع فهارسها ، كما نسخ أجزاء من كتاب المحلى لابن حزم والبالغ ثمانية أجزاء[٣] .

وقد عرف المدنيون حرص الحجاج على اقتناء الكتب ؛ فراجت سوق الكتبية بالمدينة في موسم الحج ، ونشطت سلعة بيع الكتب ، فعلى سبيل المثال اشترى العالم الرحالة القاسمي كتاب وفاء الوفا للسمهودي بمجيديين ، وقد سر به كثيرًا[٤] .

(١) العياشي ، ماء الموائد ، ص٣٧٠ .

(٢) لمعرفة المزيد عن المكتبات فترة الدراسة انظر : عبد اللطيف بن دهيش ، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما .

(٣) القاسمي ، رحلتي إلى المدينة ، ص ٢٧ ، ٣٢ .

(٤) القاسمي ، رحلتي إلى المدينة ، ص ٣٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكانت الاستفادة من الكتب وتبادلها من الأمور المشهورة بين العلماء المدنيين والوافدين مع الحجاج ، فقد استعار العياشي كتاب (شرح المناوي على الشمائل)[١] من الشيخ ياسين الخليلي[٢] ، ليعينه على الدرس الذي كان يقوم به في الحرم النبوي .

والتقى الغنامي في رحلته بعدد من علماء المدينة واستفاد من علمهم منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسي ؛ فقد لازمه وأخذ عنه ، وسأله عن أحوال المدينة المنورة ، وما يوجد فيها من كتب وما ينصحه بقراءته[٣] .

كما أشار الرحالة إلى المكتبات الخاصة بعلماء المدينة ، واطلاعهم على نفائس الكتب الموجودة بها[٤] ؛ فقد التقى العياشي بالشيخ المجاور مرزا الشامي الدمشقي ، وقد اطلع على مكتبته العامرة ، وقال بأنه لم ير مثلها قبل ذلك ؛ لكبرها ولكثرة ما تحويه من كتب نادرة وغريبة[٥] .

كما اعتاد مؤلفو الكتب في جميع الأقطار الإسلامية على إهداء نسخ من مؤلفاتهم وكتبهم إلى المسجد النبوي ، وكان هذا من أهم مظاهر التأثر العلمي للمجتمع المدني بموسم الحج ، فإن الحركة العلمية بالمدينة لم تتوقف ، ووجود هذه الكتب التي تفد للمسجد النبوي كان مهماً لطلبة العلم .

---

(١) الشيخ ياسين بن محمد الخليلي غرس الدين ، أهله من فلسطين عاش بالمدينة وتولى التدريس والخطابة والإمامة بحرمها ، توفي عام ١٠٨٦هـ . المحبي ٤٩٣/٤ .

(٢) العياشي ، ماء الموائد ، ص ١٠٣ .

(٣) فاسي الأصل ، وفد على الحرمين فجاور ، وجلس لتعليم الناس ، فاستفاد منه خلق كثير ، له العديد من المؤلفات العلمية منها : شرح ألفية السيوطي . القادري ، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر ، ص ٣٥٦ .

(٤) العياشي ، ماء الموائد ، ص ٣٣٥ ، ٥٤٥ ، الدرعي ، الرحلة الناصرية ٨/٢ ، الغنامي ، رحلة القاصدين ، ص ٦ .

(٥) العياشي ، ماء الموائد ، ص ٣٨٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان العلماء من البلاد الإسلامية يستغلون فرصة الحج لإهداء مؤلفاتهم للمسجد النبوي ، وقد علل الرحالة الغنامي هذا العمل أنه رجاء التبرك والإقبال عليها ، لذا وجد في خزانة المسجد النبوي الكثير من الكتب في كل فنون العلم[١] .

كذلك حرص العلماء الحجاج على الالتقاء بعلماء المدينة والحصول منهم على الإجازات العلمية ؛ فقد تحصل العياشي على إجازة في قراءة القرآن الكريم بقراءة الإمام عبد الله بن كثير المكي[٢] ، من الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن عمر الزبيدي[٣] المجاور بالمدينة[٤] ، كما التقى الزبادي بالشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي[٥] ، ونال منه إجازة في الكتب الستة وغيرها من مروياته ومؤلفاته[٦] . والتقى أبو مدين بعالم المدينة عبد الكريم بن يوسف الأنصاري المدني[٧] ، وحصل منه على إجازة بجميع مروياته وكتب له الإجازة بخطه[٨] . وتحصل الكتاني على إجازة

(١) الغنامي: رحلة القاصدين، ص٧؛ الدرعي: الرحلة الناصرية، ج٢، ص ٤٣.

(٢) عبد الله بن كثير الداري المكي ، أبو معبد أحد القراء السبعة ، ولد بمكة عام ٤٥هـ/٦٦٥م ، وتوفي بها سنة (١٢٩هـ/٧٣٧) . الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ١١٥/٤ .

(٣) من كبار علماء القراءات والحديث ، توفي عام (١٠٧٣هـ/١٦٦٣م) . المحبي ، خلاصة الأثر ١٩٣/٣ .

(٤) العياشي ، ماء الموائد، ص ٢٣٢-٢٣٣ ، ٣١٩ .

(٥) هاجر إلى المدينة من موطنه الأصلي بلاد السند ، تولى التدريس بالمسجد النبوي ، كان ورعاً تقياً ، توفي سنة (١١٦٣هـ/١٧٤٩م) ، المرادي ، سلك الدرر ٣٤/٤ ، الكتاني ، فهرس الفهارس ٣٥٦/١ .

(٦) الزبادي ، بلوغ المرام ، ص ١٨٤-١٨٥ .

(٧) كان أحد خطباء المسجد النبوي ومدرساً بالروضة الشريفة ، له عناية بالتاريخ ، توفي بمكة سنة (١١٦٢هـ/١٧٤٨م) . مؤلف مجهول ، تراجم أعيان المدينة المنورة ، ص ٥٠ .

(٨) العياشي ، ماء الموائد ، ص ٣٣٥ ، ٥٤٥ ، الدرعي ، الرحلة الناصرية ٨/٢ ، الغنامي ، رحلة القاصدين ، ق ٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بخط الشيخ علي بن ظاهر الوتري[١] في قراءة الأوائل العجلونية ، والمسماة : (عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثاً)[٢] . كما تبادل العالم الرحالة الدرعي الإجازات العلمية مع إمام وخطيب المسجد النبوي الشيخ عبد الكريم بن عبد الله الخليفتي العباسي[٣] .

ومن أهم مظاهر التأثر في المجتمع المدني بموسم الحج ثقافياً ما كانت عليه اللغة في المجتمع المدني ، فقد غزت الألفاظ الأعجمية اللغة العربية الصافية لأهل الحجاز ، ويعود ذلك لعدة أسباب منها : محاولة الوافدين إلى الحجاز من المسلمين غير العرب تعلم اللغة العربية ، لكن لم يكن تعلمهم متقناً ، فنتج عن ذلك تحريف جزئي للألفاظ العربية ، ومن الأسباب كذلك : وقوع الحجاز تحت السيطرة العثمانية ، ومن المعروف أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة التركية ، فكانت ثمة ألفاظ أعجمية واقعة فعلاً في التعامل اليومي ، مما مهد دخول غيرها ، وأضف إلى ما سبق أن المجتمع المدني كان به العديد من العرب من العراقيين والشوام والمصريين والمغاربة ، (بلهجاتهم المختلفة) ، كل ذلك جميعاً أثَّر في لغة أهل الحجاز ولهجته ، ولم تكن المدينة المنورة بمنأى عن ذلك .

وقد سجل الرحالة أن « لغة أهل المدينة ليست نقية تماماً ... ، فهي لغة أقرب كثيراً للغة أهل مصر ، كما أن السوريين الذين استقروا هنا لعدة أجيال احتفظوا بمسحة من لهجتهم ، ومن الشائع أن تسمع أهل البلاد

(١) هو العلامة المحدث الأديب أبو الحسن علي بن ظاهر الوتري ، المدني الحنفي ، من علماء المدينة ، روى عن عدد من علام الحجاز ، وأجاز لكثير من علماء العالم الإسلامي ، توفي بالمدينة سنة ١٣٢٢هـ . انظر ترجمته : فهرس الفهارس للكتاني ٤٧٩/١ ، ٤٨٠ .

(٢) الكتاني ، الرحلة السامية ، ١٩٥ .

(٣) الدرعي ، الرحلة الناصرية ٤٢/٢-٤٣ ، والخليفتي عرف بالفضل والعلم ، له العديد من المؤلفات في العلوم الشرعية ، توفي بالمدينة سنة (١١٣٣هـ/١٧٢٠م) . الأنصاري ، تحفة المحبين ، ص ٢٠١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يتحدثون التركية أو على الأقل ينثرون بين كلامهم قليلاً من الكلمات التركية »[١] .

كما دون الرحالة البتنوني هذا الأثر في لغة أهل الحجاز في رحلته ، إلا أنه نعى عليهم الخلط في اللغة العربية ، قال : « والذي يؤسف له أن هذا الخلط وصل إلى لغتهم ؛ فتراهم يتكلمون في الغالب بلغة يكثر فيه الحشو من كلمات عربية مشوهة ، أو فارسية ، أو تركية أو غيرها »[٢] .

ومما أصبح دخيلاً على لغتهم بعض كلمات منها :

- أنهم يضيفون حرف النون على المضاف فيقولون في حق فلان مثلاً : هذه حقون فلان ، مع إبدال القاف جيمًا مصرية .
- ومنهم من يضيف حرف النون على الفعل في صيغة الأمر للجميع فيقول : هيا صلون المغرب ، واركبون ، واشربون الشاهي .
- ويقولون في الإبل : بِل بكسر الباء ، وفي الحبل بفتحها . وفي الشاي : الشاهي .
- ويقولون : (كِمِنّا) أي كملنا ، (خلصنا) ، ويقولون (واصابتي) في وامصيبتي ، (واللّمن) في اليمن .
- ومما يكثر سماعه منهم قولهم : (دَحِين) في هذا الحين ، و(ازهم فلان) في ادع فلان .
- ويعبرون عن الرجل بلفظ (زلمة) ، ويجمعون الرجل على (أوادم) .
- ويقولون (زكّنه) أي اضربه ، (وقل كذا) أي اعمل كذا ، ويقولون (أبيض) للاستحسان ، و(سنّع) في صنّع أو أتقن ، و(اتجعمص) يعني اجلس ، و(فصخ حِداك) أي اخلع نعلك .
- ويقولون (مِشْلح) للعباءة ، و(شاية) للقفطان ، و(امرح) أجري ، و(الوَدَنْ) للفدان من الأرض ، و(الصُّمادة) للكوفية ، و(زكّن عليه) أي أكد

(١) بوركهارت ، ص ٣٥٨ .

(٢) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٤٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عليه ، و(زِلْ) بمعنى مر ، و(اندُر) بمعنى اخرج ، و(إلا) بمعنى نعم ، و(اغد) بمعنى رح .

- ويستعملون قولهم : (أشكل) لأفعل التفضيل من الحسن ، فيقولون هذا الشيء أشكل من هذا يعني أحسن منه .
- ويستعملونها أحياناً للكثرة فيقولون : (هذا أشكل من هذا) ، يعني أكثر ، ويسمون الأولاد بالبزورة ، فيقولون : (بزورة فلان أو بزران فلان) أي أولاده .
- ويستعملون لفظ (هرّج) في معنى كلم ، فيقولون (ما هرجته) ، أي ما كلمته ، ويستعملون لفظ (صاقن) التركية للاحتراس والتنبيه ، و(قربوز) للبطيخ .
- ويستعملون غير ذلك من الكلمات التركية والفارسية مثل (روشن) للشباك ، ويقولون عن حياض مجرى عين زبيده (بازان) ، وهو اسم لرجل أعجمي قام بعمارة هذه الحياض[1] .
- كما استعملوا بعد ذلك من هذه اللغة ألفاظاً كثيرة في المدينة المنورة بعد وصول السكة الحديدية إليها : فيقولون (البيليت) لتذكرة السكة الحديد (***billet***) و(استاسيون) للمحطة (***station***) ، و(شماندفير) للسكة الحديد (***chemin de fer***) ، والفاجون للعربة (***wagon***) ، و(البرسونيل) للمستخدمين (***personnel***) . وكلّها معرّبة من اللغة الفرنسية .

وقد ذكر البتنوني أن غالب أهل مكة يتكلمون بلغات مختلفة كي يتسنى لهم التعامل مع الحجاج والمعتمرين ، ولا نظن أن المدينة كانت بمنأى عن ذلك ؛ لتشابههما ، فيقول : « غالب أهل مكة يتكلمون بالتركية ، ومن المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهندية والأوردية والجاوية

(١) البتنوني الرحلة الحجازية، ص ٤٣- ٤٤ ، ٥٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والفارسية والصينية ، أما أهل البادية فلغتهم عربية صرفة لا نكاد نفهمها إذا سمعناهم يتكلمون بها ، ولكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف في لفظها باختلاف القبائل ، فمنهم من يقلب القاف زايًا فيقول (زربة) في قربة ، وعتيبة تقلب الكاف سينًا فيقولون (سواسب) في كواكب ، و(سبد) في كبد ، أما بنو شيبان فينطقون بالقاف جيمًا فارسية فيقولون في قربة (جربة) والعرب لا ينطقون بالقاف بل يلفظونها جيما مصرية ومنهم من يقلب الميم باء كقولهم بكة في مكة ، ومنهم من يقلب الثاء فاء فيقولون (فُمَّ) في ثم ، ومنهم من يغير الحركات في الكلمة كقول الحجاز : بين الحَج ، وقول نجد : الحِج »[١] .

أما أهل البادية فقد حافظوا على لغتهم عربية صرفة ، وإن كانت تختلف في لفظها باختلاف القبائل ، وزاد انتشار اللغة التركية في الحجاز في أوائل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي بصورة أكثر مما كانت عليه في السابق بسبب التدريس باللغة التركية في المدارس الحكومية[٢] وقد انتقلت كثير من الألفاظ المصرية إلى لغة أهل الحجاز[٣] .

---

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٤٥ .

(٢) د. نورة الحامد ، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز ، ص ٢٥٨ .

لقد أنشأ العثمانيون المدارس (الرشيدية) في مكة والمدينة ، (كانت بمستوى المرحلة المتوسطة) ، بالإضافة إلى المدارس التحضيرية والمدارس الابتدائية ، وفي عام ١٣١٨ تم تأسيس المدرسة الإعدادية وهي بمستوى المدارس الثانوية ، وكانت بباب المجيدي شمال شرقي المسجد النبوي ، وفي عام ١٣٢٧هـ أنشا الأتراك داراً للمعلمين وكانت لغة الدراسة في هذه المدارس في المرحلة الابتدائية والتحضيرية التركية ، بينما كانت في المدارس الإعدادية ودار المعلمين تجمع بين اللغة العربية واللغة التركية . ياسين أحمد ياسين ، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة ، منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه ، (ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار العلم، جدة) ، ص ١٧٨ .

(٣) حمساء الدوسرى ، العلاقات بين مصر والحجاز ، ص٤٤٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخاتمة ، نسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ...

تنقلت في بحثي هذا بين أنواع من الفنون والعلوم ؛ التاريخية والأدبية ، أتتشق عبير الماضي في الكلام حول المدينة الحبيبة ، وكيف كان أثر العبادة العظيمة (الحج) على مجتمع المدينة في العصر العثماني من خلال كتب الرحالة ، وقد توصلت إلى عدد من النتائج لعل من أهمها :

- أثر الحج على تنوع التركيبة السكانية في المدينة حتى غدا أكثر السكان (النصف أو أكثر) في العهد العثماني من المجاورين (الحجاج والزائرين) الذين طاب لهم الجوار في المدينة المنورة .
- وأثر الحج على التعداد السكاني للمدينة في العهد العثماني فترة الدراسة ، فصار يتزايد مع قدوم الوافدين من ١٤ ألفاً إلى ٢٠ ألفاً إلى ٦٠ ألفاً فـ٨٠ ألفاً في نهاية العهد العثماني .
- وتناقص العدد مع نشوب الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) ؛ إذ أدت الحرب إلى توقف نسبي للحج والزيارة أثناء فترة الحرب مما أدى إلى تناقص عدد سكان المدينة إلى أدنى مستوياته ، وكثرت الهجرات من المدينة لقلة الموارد التي كانت تتزامن مع موسم الحج .
- تأثرت أشكال المدنيين تبعاً لتنوع التركيبة السكانية ، والجاليات تشابهت ملامحها مع العرب من خلال الأجيال .
- وأدى الحج إلى تنوع أماكن مساكن أهل المدينة ، واختلفت مساحات المنازل وتعددت طوابقها تفاوتاً مع قربها أو بعدها من الحرم ؛ حيث اعتاد أصحابها تأجيرها في المواسم للحجاج والزائرين .
- وفي المطلب الاقتصادي ؛ تبين أثر الحج على المستوى المعيشي لأهل المدينة ، فمصادر أهل المدينة محدودة نسبياً ، لذا استغل المدنيون موسم الحج والزيارة في تنمية مواردهم .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- كما ظهر أن المدنيين اهتموا بالعديد من الحرف لتناسب موسم الحج ، فمن أهم هذه المهن : مهنة الأدلاء ، وذلك لسد حاجة الوافدين من كافة أنحاء المعمورة إلى بلاد الحرمين الشريفين ، ولحاجة الحجاج إلى من يرشدهم إلى المسجد النبوي وزيارة بقية المواقع .
- ظهر من خلال البحث أن موسم الحج أثر على مهنة الزراعة ؛ فالمدنيون اهتموا بزراعة النخيل بأنواعها لشراء الزائرين للتمر لحرص الحجيج على شراء التمور وحملها معهم مما جعل تجارة التمور أكبر التجارات وأوسعها .
- وأوضح البحث أن مهنة الصيرفة من المهن التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالحج وصارت المدينة مع هذه العملات سوقاً رائجة للصرافة بسبب تدفق مختلف العملات .
- كما أثر موسم الحج على مهنة الرعي فنشطت تجارتها ، وكذا الحرف التي لا تحتاج إلى مهارة ودقة ولا غنى للناس عنها .
- وتوصلت من خلال البحث إلى أن مهنة التجارة كانت أكثر المهن رواجاً وتأثراً بموسم الحج في المدينة ، حتى إنه كانت إبان الموسم تُعطل أو تؤجل الأمور الأخرى ، بل كان موسم الحج العيد الحقيقي ، فكانت الأسواق التجارية تقوم وتستمر ويقوم بالبيع فيها أهل المدينة والحجاج .
- وكانت تجارة المدينة تتم في أسواق مخصصة ، بالقرب من الحرم الشريف كي يسهل على الحاج شراء ما يريده من سلع دون عناء البحث عنها .
- وظهر من خلال التتبع أن ثمة بضائع يحرص عليها الحجاج أكثر من غيرها ، يتصدرها الهدايا التذكارية ، وأنه لم يقتصر سوق المدينة على المعروضات من السوق المحلي ، بل كانت السلع تعرض من كل أنحاء العالم ، بمثابة (معرض دولي) .
- وفي المطلب الاجتماعي ؛ تبين لي أن الأثر الاجتماعي لرحلة الحج هو الأظهر بين الآثار المختلفة والأحوال العامة للمجتمع المدني .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- وكان من عاداتهم الاحتفال بركب الحجيج ، والاحتفال بالمحمل ، كذلك شارك الحجاج والزوار أهل المدينة قيامهم وصيامهم شهر رمضان ؛ فقد اعتادوا على الإفطار في المسجد النبوي طيلة الشهر الفضيل ، كما شارك الحجاج والزوار أهالي المدينة بالاحتفال ببعض الاحتفالات الأخرى ؛ كالمولد والرجبية ، والاحتفال بحفظ الطالب القرآن الكريم ، وحفلات الزواج .
- وأثبت البحث أنه قد تنوعت المأكولات في المدينة المنورة بتنوع الأجناس والجاليات الإسلامية التي تقطنها ، فهناك المأكولات التركية والمغربية والإفريقية والهندية والمصرية والشامية والبخارية والأفغانية والجاوية ، وغيرها .
- وأما الملابس في المجتمع المدني فقد تأثرت كثيراً بموسم الحج ؛ إلا أنهم تميزوا بالرفاهية في الملابس ، وكل جنس من التركيبة السكانية احتفظ نوعاً ما بهوية ملابسه ، أما ملابس النساء : فكان للعامل الديني أثره في لباس المرأة المدنية ، فجاء لباسها وفق الضوابط الشرعية ، برداء طويل ، كما تأثر المجتمع المدني في الملابس أكثر بالحاج المصري ، كما ظهرت أيضاً الملابس الهندية في المجتمع المدني .
- وفي **المطلب الثقافي** كان واضحاً جلياً تأثر المجتمع المدني بالحجيج والزوار ، فالكثير من الحجاج العلماء فترة وجودهم بالمدينة كان يسمح لهم بتدريس العلوم الشرعية بالمسجد النبوي ، والسيرة النبوية ، واللغة العربية .
- وظهر من البحث أنه للتسهيل على الحجاج الأعاجم كانت تقام دروس في المسجد النبوي بلغاتهم كالأوردية والجاوية والفارسية والتركية وغيرها .
- وأبان البحث أن المكتبات العامة والخاصة كانت تفتح أبوابها للعلماء وطلبة العلم من الوافدين كمكتبة (عارف حكمت) ، كما عرف

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدنيون حرص الحجاج على اقتناء الكتب ؛ فراجت سوق الكتبية بالمدينة في موسم الحج ، وكانت الاستفادة من الكتب وتبادلها مشهوراً بين العلماء المدنيين والوافدين مع الحجاج ، واعتاد مؤلفو الكتب في جميع الأقطار الإسلامية على إهداء نسخ من مؤلفاتهم وكتبهم إلى المسجد النبوي .

- وكان الحجاج والزوار من العلماء يحرصون على الالتقاء بعلماء المدينة والحصول منهم على الإجازات العلمية .
- وظهر من البحث تأثر اللغة في المجتمع المدني ، فقد غزت الألفاظ الأعجمية اللغة العربية الصافية لأهل الحجاز ، ويعود ذلك إلى محاولة الوافدين إلى الحجاز من المسلمين غير العرب تعلم اللغة العربية ، لكن لم يكن تعلمهم متقناً ، ولوقوع الحجاز تحت السيطرة العثمانية ، مع ما احتفظ به المجتمع من التركيبة السكانية المختلفة من العرب العراقيين والشوام والمصريين والمغاربة ، بلهجاتهم المختلفة .

كانت هذه أهم ما توصلت إليه من النتائج ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس المصادر والمراجع

١- إبراهيم رفعت (ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) : مرآة الحرمين (الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية) ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة .

٢- ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ، بيروت .

٣- أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٨م .

٤- الألباني ، ناصر الدين : دفاع عن الحديث والسنة ، (المكتبة الشاملة) .

٥- الأنصاري ، عبد الرحمن : تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، تحقيق : محمد العمروسي المطوي ، تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٩٧٠م .

٦- أوليا جلبي : الرحلة الحجازية ، ترجمها عن التركية وقدم لها : الأستاذ الدكتور الصفصافي أحمد المرسي ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٧- أيوب صبري باشا (ت١٢٩٠هـ/١٨٩٠م) : موسوعة الحرمين الشريفين ، (وجزيرة العرب) ، أشرف على ترجمتها : محمد حرب ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٨- البتنوني ، محمد لبيب (ت١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) : الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر ، ط٣ ، مكتبة المعارف .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٩- البخاري : الجامع الصحيح ، مراجعة وضبط محمد علي قطب ، وهشام البخاري ، المكتبة العصرية ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، صيدا ، بيروت .
١٠- بيرتون ، رتشارد ف : رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ترجمة وتعليق : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .
١١- ترتيب القاموس المحيط (المكتبة الشاملة) .
١٢- تطور النقود في المملكة العربية السعودية ، مؤسسة النقد العربي السعودي ، متحف العملات ، الرياض .
١٣- جمال الدين القاسمي الدمشقي (قام بالرحلة عام ١٣٢٨هـ) : رحلتي إلى المدينة المنورة ، تحقيق : محمد ناصر العجمي ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .
١٤- جون كين : ستة أشهر في الحجاز ، (رحلات إلى مكة والمدينة ١٨٧٧-١٨٧٨م) ، ترجمة : سارة هادي ، مطبعة الرافدين .
١٥- جون لويس بوركهارت : رحلات إلى شبه الجزيرة العربية (عام ١٢٣٠هـ - ١٢٣١هـ) . ترجمة : عبد العزيز بن صالح الهلابي ، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
١٦- حمساء بنت حبيش الدوسرى : العلاقات بين مصر والحجاز (٩٢٣-١٠٠٣هـ/١٥١٧-١٥٩٤م) دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣١هـ .
١٧- دار الوثائق ، سجلات الروزنامة ، دفتر جوالي واجب ١٢٠٨هـ .
١٨- الدرعي ، أحمد بن محمد بن ناصر (ت ١١٢٨هـ/١٧١٥م) : الرحلة الناصرية ، (الطبعة الحجرية) .
١٩- دومنجو باديا : رحالة أسباني في الجزيرة العربية (رحلة دمنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة (١٢٣١هـ/١٨٠٧م) ، ترجمة : صالح بن محمد السنيدي ، دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٩هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢٠- ريزفان ، يغيم : الحج قبل مئة سنة (١٨٩٨-١٨٩٩م) ، ط٣ ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٢١- الزبادي ، عبد المجيد بن علي المنالي (ت ١١٦٣هـ/١٧٥٠م) : بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام . ط١ ، الدار الثقافية للنشر .

٢٢- الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٧ ، ١٩٨٦م .

٢٣- سادلير ، الكابتن . ج . فورستر : رحلة عبر الجزيرة العربية عام ١٨١٩م ، ترجمة : أنس الرفاعي ، تحقيق : سعود غانم العجمي ، ط٢ ، الصفاة ، الكويت ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

٢٤- السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١ه/١٥٠٦م) : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ .

٢٥- سهيل صابان : مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٢٦- شارد ديدييه : رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٥٤م) ، ترجمها وقدم لها وعلق عليها : محمد خير البقاعي ، دار الفيصل الثقافية ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

٢٧- عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى : دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة ، ط١ ، دار القاهرة ، ٢٠٠٩م .

٢٨- عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة على مصر والشام والحجاز ، تعليق : محمد أحمد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٢٩- عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ط٣ ، دار خضر ، بيروت ، ١٤١٨هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣٠- عدنان عبد البديع اليافي : جدة في شذرات الغزاوي ، ط١ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

٣١- علي بن موسى الأفندي (ت بعد عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) : رسالة في وصف المدينة المنورة عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ، تحقيق ونشر : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض .

٣٢- عمر الفاروق السيد رجب : المدن الحجازية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٣٣- عمر الفاروق السيد رجب : المدينة المنورة (اقتصاديات المكان ، السكان المورفولوجية ، ط١ ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣٤- عواطف بنت محمد يوسف نواب : كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ، (دراسة تحليلية نقدية مقارنة) ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٢٩هـ/٢٠٠٨م .

٣٥- العياشي ، أبو سالم عبد الله (ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) : ماء الموائد ، (الطبعة الحجرية) ، ونسخة أخرى تحقيق : محمد أمحزون ، معنونة بـ (المدينة المنورة في رحلة العياشي) . ط١ ، دار الأرقم ، الكويت ، ١٩٨٨م .

٣٦- الغنامي ، عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي الزمزمي ، كان حياً عام (١١٤١هـ/١٧٢٨م) : رحلة القاصدين ورغبة الزائرين ، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم ٥٦٥٦ .

٣٧- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . جمع وترتيب . أحمد بن عبد الرازق الدويش . ط١ ، الرياض : دار أولى النهى ، سنة ١٤١١هـ (عام ١٩٩١ م) ، مج ٣ (العقيدة) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣٨- القادري ، محمد بن الطيب (ت١١٨٧هـ/١٧٧٣م) : التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر في أخبار وأعيان المئة الحادية والثانية عشر ، تحقيق : العلوي القاسمي ، بيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣٩- الكتاني ، أبو عبد الله محمد بن جعفر الحسني (ت ١٣٤٥هـ/١٩٥٣م) : الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية ، ط١ ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤٠- الكتاني ، عبد الحي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) : فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، اعتناء : إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤١- كورتلمون ، جيل جرفيه (ت ١٣٥٠هـ/١٩٣١م) : رحلتي إلى مكة ، ترجمة : محمد الحناش ، ط١ ، مؤسسة التراث ، الرياض ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٤٢- المحبي ، محمد (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر ، بيروت .

٤٣- محمد بن عبد الرحمن الحصين : العمارة الإسلامية في المدينة المنورة ، مجلة المنهل ، م ٥٦ ، ع ٥١٩ ، جمادى الأولى والأخر ، ١٤١٥/ أكتوبر نوفمبر ١٩٩٤م .

٤٤- محمد بهجة البيطار : الرحلة النجدية ، صور من حياة البادية .

٤٥- محمد بيرم الخامس : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، دار صادر ، بيروت .

٤٦- محمد صادق (ت ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) : الرحلات الحجازية ، إعداد وتحرير : محمد همام فكري ، ط١ ، مطبعة بدر ، بيروت ، ١٩٩٩م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤٧- محمد صديق خان : رحلة الصديق إلى البيت العتيق (١٢٨٥-١٢٨٦هـ/ ١٨٦٨-١٨٦٩م) ، حررها وقدم لها : أيمن حجازي ، ط١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي ، ٢٠٠٩م .

٤٨- محمد علي فهيم بيومي : المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ، ط١ ، دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

٤٩- محمد كرد علي : رحلة إلى المدينة المنورة ، مجلة المقتبس ، مجلد ٧ ، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م .

٥٠- المرادي ، محمد بن خليل بن علي (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي .

٥١- مسلم بن حجاج النيسابوري : الجامع الصحيح ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، دار الخير ، بيروت ، دمشق .

٥٢- مها سعيد اليزيدي : عمران المدينة المنورة وخططها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، دراسة حضارية (١٢٥٠-١٣٠٠هـ/١٨٣٤-١٨٨٢م) رسالة ماجستير غير مطبوعة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤٣٢ه/٢٠١١م .

٥٣- موريس تاميزيه : رحلة في بلاد العرب (الحجاز) ، ترجمة وتعليق : محمد بن عبد الله آل زلفة ، دار بلاد العرب ، للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٥٤- مؤلف مجهول (من أهل القرن الثاني عشر الهجري) : تراجم أعيان المدينة المنورة ، (تحقيق : محمد التونجي ، ط١ ، دار الشروق ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٥٥- النابلسي ، عبد الله القدومي : الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية ، المطبعة الرضوية .

٥٦- نورة معجب سعيد الحامد : الصلات الحضارية بين تونس والحجاز (دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ١٢٥٦-١٣٢٦هـ) ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض، ٢٠٠٣م .

٥٧- الولاتي ، محمد يحيى بن محمد المختار (ت ١٣٣٠هـ/١٩١٢م) : الرحلة الحجازية ، تخريج وتعليق : محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٠م .

٥٨- ياسين أحمد ياسين الخياري : صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه ، ط٢ ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٥٩- يوسف أحمد حوالة : هيئة الأدلاء بالمدينة المنورة ، شرف المهنة وعراقة الخدمة ، مجلة الحج ، س٥٤ ، ع١١ و١٢ ، جمادى الأولى والآخرة ، ١٤٢٠هـ/ أغسطس وأكتوبر ١٩٩٩م .

٦٠- ***http : //main .islammessage .com/newspage .aspx?id=11704***

٦١- (تقرير عن الجنادرية ، يوميات في جناح المدينة المنورة) .

❊ ❊ ❊

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة